روايات عبير

ليليان بيك

بيني وبينك خفايا



www.elromancia.com

مرمورية

١٣٩

روايات عبير

بيني وبينك خفايا

عندما كان كل شيء هادئاً في حياة أدريان كبركة مسائية بلا أعماق، والحياة تسير على وتيرة واحدة، كان من الطبيعي ان يحصل المقدّر دون مقدمات، ان يسقط الحجر في الماء الساكن وان يظهر الحب على الأفق مليئاً بالتوقعات والدهشة.

هذا ما كانت تخشاه ادريان الفتاة الانكليزية العاقلة الخجول، مع انها في اعماقها تتمنّاه بكل جوارحها. عندما ظهر موراي في حياتها اتخذت مشاعرها تتفتح بسرعة ادهشتها حتى حدود الصدمة، وانحسر اهتمامها شيئاً فشيئاً بأخيه كليفورد دينينغ كاتب القصص المتردد، الأناني، الذي لا يجرؤ على الخروج عن المألوف ويعجز عن مغامرة الحب الصعبة. ولكن شخصية موراي الساخرة، الواثقة من نفسها تتحرك كالزئبق في عالمها الثابت، والفوارق تعلو بينهما كالجدران كلما مرّ عليهما يوم آخر.

ولكن ذات يوم...

لبنان ١٢ ل.ل	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠ م
سورية ١٢ ل.س	الامارات ١٢ د	تونس ١.٥٠٠ د	U. K. £ 150
الاردن ٨٠٠ ف	البحرين ١.٥٠٠ د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١.٥٠٠ ر	مصر ٢٠٠ ق	Cyprus P 1.50

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
FAMILIAR STRANGER

© LILIAN PEAKE 1973
© 1984 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: ليليان بيك
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

www.elromancia.com
مـــرمـــوظـــة

١ - ابتسم لها

كانت أمسية حارة تتهادى فيها الغيوم على صفحة الشمس فتجعلها ترسل أشعتها المتقطعة على شعر الرجل الجالس عند نافذة المقهى.

كان الرجل يحرك الشاي في فنجانه بلا توقف، مع أن السكر ذاب فيه من زمان! بدا وكأنه يعالج في ذهنه مشكلة مستعصية ما ينفك حلها يتهرب منه.

وما كان ليلحظ الفتاة الجالسة في المقهى نفسه لولا وجود كلبها. كان صغير الحجم ذا شعر سلكي، وقد نهض وراح يتمطى برماً، ثم وقف يلهث بانتظار الفتاة التي كان يستلقي عند قدميها.

رفع منخريه فاختلجا، وسار وأنفه إلى البلاط، حتى وصل مكان الرجل، فطفق يشمشم حذاءه وهو يهز النصف السفلي من جسمه القصير

المتوتب، ويخبط ذيله في جنون من جهة الى اخرى، ثم يحشر انفه في كف الرجل التي هبطت في تلك اللحظة لتربت على رأسه.

راقبتهما ادريان وقد جمدها مشهد كلبها يطرح نفسه على شخص غريب كليا. لم تقدر ان تفهم تصرفه... كما لو انه وجد صديقاً.

نادته في ضيق:

- فليك! تعال هنا!

لكن الكلب لفرط ابتهاجه بصديقه الجديد لم يتمثل لأمرها. سارت عبر الارض الخشبية وانحنت لتقبض على طوقه، الا انه هرب منها وانطرح تحت طاولة الرجل. غاصت وراءه، لكن جبينها ارتطم بحافة الطاولة في عنف، فأحست بالدوار ووقعت عند ساقي الرجل الذي مد لها يديه ليسندها.

ولما تشبثت بالطاولة اختل توازنها وانسكب الشاي عليها، لكن الرجل تغاضى عن ذلك، وخلص الفتاة في لطف من وقعتها المحرجة. رفعت يدها الى جبينها وفركته بأسى، واحست في عينيها حريقا من الالم.

نظر اليها بلهفة وسأل بصوت لطيف:

- هل انت بخير؟ كانت بالفعل خبطة قوية.

وباللطف ذاته، ازاح يدها وتفحص الكدمة، وقال:

- انها اخف مما ظننت، لكنها تؤلمك، اليس كذلك؟

اومأت، ثم قالت وهي تتأمل بركة الشاي الممتدة على سطح الطاولة:

- آسفة لحرمانك من الشاي ولكوني السبب في انسكابه هكذا.

تذكرت كلبها ونظرت الى الارض. كان يلعق قطرات الشاي المتساقطة على البلاط بفرح. فضحكا معا، وقالت للرجل تشرح تصرف الكلب:

- انه مغرم بالسكر وليس بالشاي بحد ذاته. سأعوضك بفنجان آخر على حسابي.

- كلا، انا سأفعل ذلك عنك. تفضلي.

سحب الكرسي المقابل وألح عليها بالجلوس وهو يضيف:

- سآتي بفنجانين آخرين.

قفز الكلب الى الكرسي المجاور واضعاً مخالبه على حافة الطاولة وشرع يلعق الشاي المسكوب بلسانه الطويل. ضحك الرجل ثانية، لكن ادريان

انزلت الكلب الى الارض وأهابت به قائلة:

- كفى يا فليك، وكن مهذباً!

عاد الرجل بالشاي ولحقت به المسؤولة عن المقهى. ابتسمت لأدريان في عطف وهي تجفف سطح الطاولة وقالت:

- لقد رأيت ما حصل، فهل تشعرين بتحسن؟

فاومأت ادريان شاكرة.

قدم لها الرجل السكر وقال مازحا:

- أتعلمين انك اول امرأة تطرح نفسها على قدمي؟ يجب ان اسجل هذه الحادثة في مفكرتي.

ابتسمت ادريان واحمرت قليلا لشعورها بالحرج من تصرفه الودي هذا... نظر الى جبينها وقال:

- قد لا تزول آثار الكدمة سريعا، ومن حسن الحظ ان اللطمة لم تسبب ضررا افدح.

ثم نظر اليها متأملا شعرها الاشقر وحاجبيها المقوسين وخديها المكسوين بمزيج من التورد والشحوب. شعرت به يتفحصها، اذ كانت تركز بصرها عمدا على تحريك الشاي في فنجانها. ولما انتشلت الملعقة، تراقص السائل كالدوامة، ولف معه أوراق الشاي العائمة، ثم امتصها في منتصف الدائرة قبل ان تهبط متمهلة الى القعر. افكارها كانت ايضا في دوامة، فثمة شيء يحيرها في سمات هذا الرجل. انها واثقة من انها التقته في مكان ما من قبل، مع انها لم تره في حياتها.

- ما اسم كلبك؟

اقتحم سؤاله افكارها، في عينيه صفاء وهدوء يدلان على قوة خفية، على شخصية تشع ثقة وتفهما، يحاول على ما يبدو ان يوحي بهما للآخرين. لا ريب انه يمتلك قدرا كبيرا من العزيمة الخلقية ومن القدرة على مواجهة كل المواقف المستجدة، مهما بلغت صعوبتها.

كان ينظر الى حيث يضطجع الكلب قريباً، كصرة بيضاء مرقطة بالسواد، مغمضاً عينيه ودافناً أنفه بين مخالبه.

- اسمه فليك.

- وما اسمك انت؟

فاضطرت عندها للنظر اليه ولمواجهة ابتسامته التي اوحت بأنه ما طرح السؤال الا ليرغمها على رفع وجهها اليه، حيث راح يدقق فيه بنظرة جعلتها تتضرج احمرارا. . . لأول مرة تلتقي رجلا غريبا بهذه الطريقة، ولا تعرف بالتالي كيف يجب ان تتصرف. هل يقتضي الموقف ان تطلعه على اسمها؟ لا مجال للتساؤل ولا مفر من ذلك. انها ببساطة لا تعرف كيف ترفض ولا تملك ذلك الاسلوب الذكي المطواع الذي تنتهجه فتيات اخريات امام سؤال كهذا. . . فقالت:

ـ اسمي ادريان. . . ادريان غارون.

كف للحظة عن تحريك الملعقة وهو يستوعب الاسم، ثم عاد الى حركته الدائرية حتى خالت الملعقة ستخرق قعر الفنجان لا محالة. . . وتاقت الى ان تسأله اسمه اسوة بالفتيات الجريئات، الا ان طبيعتها الخجولة منعتها من ذلك، وعبثا ناضلت لاخراج الكلمات. لكنه لم يسمح للصمت بأن يطول، فسأل:

ـ لماذا اخترت له اسم فليك؟

السؤال المفاجىء افقدها توازنها الذهني للحظة عابرة. اذ اقتلعها من جذور خجلها، وأجبرها مجددا على ملاقاة بصره الذي لا يتعب من السباحة في زرقة عينيها. لكنها سرعان ما أجابت:

ـ سميناه فليك بسبب الطريقة التي ينفض بها ذيله، وامي كانت صاحبة الاقتراح.

عادت تخفض بصرها، وتساءلت لماذا يصر على جعلها تنظر اليه، وعما كان يبحث حين يغوص عميقاً في عينيها؟

ـ هل تعيشين مع امك؟

ترددت قليلا ثم اجابت للمرة الثانية بصدق:

ـ أجل. انها ارملة.

كانت تأمل ان تسكته بأجوبتها المقتضبة. وبدأت تتمنى لو ان الحادثة كانت مجرد حلم مزعج، ولو انها ما كانت تجالس هذا الغريب وتحدثه عن نفسها، على الرغم من وسامته وصوته الهادىء الرزين. همزت ظهر كلبها بقدمها المتوترة لتدفعه الى الحركة. لقد اظهر من قبل مللاً وضيقا، فأين ذهب الآن كل ذلك الملل؟

ابتسم لها فلم تبادله بالمثل. بدا وكأنه يتعمد اثارة اعصابها ويتلذذ بذلك. نهضت وازاحت كرسيها بصوت مسموع فاستيقظ الكلب ورفع نفسه في تثاقل، ثم اتجه الى رفيقها بدل ان يلحقها هي.

داعبه الرجل وشعث شعره قائلا:

ـ فليك. هذا هو اسمك. اليس كذلك؟

وفكرت ادريان في نفسها، لماذا يقبل عليه الكلب دون اقل رادع، وكأنه صديق قديم؟

وقالت للرجل بجمود:

ـ اشكرك على الشاي واكرر اعتذاري عن كل ما حدث. . .

كلما بكرت في مغادرة المقهى كلما كان افضل. ستقول له وداعا ولن تراه ابدا بعد اليوم. . . لكنها عجزت عن افهام الكلب وجوب انهاء المعرفة عند هذا الحد. وزاد الطين بلة ان الرجل كان يشجع فليك على البقاء ليزيدها حرجاً.

ـ فليك!

نادت الكلب بصوت حاد، فالتفت اليها بسرعة، واخذ يراقب خروجها بعينين يقظتين. وأحست بالاستياء حين رأت الرجل يستعد لمغادرة المقهى برفقتها. وهكذا خرج ثلاثتهم في صف واحد، والكلب في الوسط، الى نور الشمس الذي ربح معركته مع الغيوم، وراح ينشر الدفء بلا توقف. قال الرجل مؤانساً:

ـ يوم رائع!

لكن ادريان امتنعت عن الجواب. الم يشعر انها كانت تحاول التخلص منه؟ يا لسماكة جلده! كان يسير الى جانبها وفليك يقفز الى يده ليأخذ منه العصا التي التقطها من تحت شجرة.

وسألها وهو يستثير الكلب بإبعاد العصا عن متناوله:

ـ هل بيتك بعيد من هنا؟

ـ قليلا.

ـ أتسمحين لي بمرافقتك؟

رمقته بغضب وودت ان ترفض طلبه لكن العبارة ذابت في حلقها. . . شيء ما اهاب بها ان تتصرف بلياقة، ليس خجلها بحد ذاته، بل شيء في

www.elromancia.com

شخصيته اخافها قليلا... ربما هو نوع من السلطة الفطرية التي تفرض نفسها على الآخرين وتحظى بالاحترام. كذلك هي مدينة له برد الجميل، بعد ما اعتدت على حريته الشخصية وسببت له المتاعب بفعلتها الطائشة تلك.

- لا مانع لدي اذا كنت تريد مرافقتي.

خرجت الكلمات مقتضبة، لكن نبرتها اوضحت عكس ذلك. والتقط سمعه الحساس رنة التشجيع التي انزلقت تلقائيا، وجعلت أدريان تؤنب نفسها.

ويبدو انه لمس ايضا ترحيبها، اذ رمقها بنظرة دافئة فيها اشارة بسيطة مألوفة جعلتها تتورد ثم... تقطب.

ولما خرجا من بوابة المنتزه ومضيا يتمشيان على الرصيف وقد اصبح السوق التجاري خلفهما، سألها بدون تمهيد:

- هل تعملين لكسب عيشك؟

اجفلها السؤال لأنه طرحه بصورة فجائية، وبسبب وقاحته في الاستعلام، ولذا اجابت فقط بكلمة «نعم»، عل ذلك الاختصار يثنيه عن متابعة الموضوع. بيد انه الحقه بسؤال آخر:

- اتعملين في البلدة؟

- نعم.

ثم اضافت لتأكدها من استفسار ثالث محتوم:

- اعمل سكرتيرة لأحد الكتاب.

فالتفت اليها بنظرة تعبر عن اهتمام شديد وقال:

- حقا؟ هل هو مشهور ومن المفروض ان اكون سمعت به؟ هل لي ان اعرف اسمه؟

لقد توقعت هذه الاسئلة، فهي ما ان تذكر طبيعة عملها لأي كان حتى يسارع دائما الى القول:

- أهو كاتب معروف؟

كما لو كان ذلك يضفي عليهم شيئاً من وهج المجد، حتى بمجرد تحدثهم الى سكرتيرته وليس الى الرجل نفسه!

- اسمه كليفورد دينينغ.

- اوه.

بدت عليه الخيبة مثلما كانت تبدو على الآخرين حال سماعهم هذا الاسم المجهول... وتابع:

- لا اعرف عنه شيئا... ماذا يكتب، هل يؤلف روايات؟

- انه يكتب لعدة مؤسسات أدبية.

لكن الرجل تابع يقول بالحاح:

- اذن هو ليس روائيا؟

قررت ان تخبره بعض الحقيقة، كما تخبر السائلين الآخرين:

- اجل، انه مؤلف روايات.

اوحت لهجتها بأنه لن يحصل منها على معلومات اكثر في هذا الموضوع. لا، لن تخبر هذا الرجل الغريب ما كان محرما عليها ان تقوله حتى لأصدقاء الكاتب المقربين. وهو ان ربّ عملها مؤلف مشهور بالفعل، وان اسمه المستعار ديمون دين وانه يكتب روايات بوليسية، معظمها يطبع بنسخ تجارية، وريعها يؤمن له دخلا ثابتا وعيشا مريحا...

قبل ان يتحول كليفورد دينينغ الى الكتابة البوليسية، كان قد كافح سنوات عديدة لينتج ما سماه «روايات حقيقية»، جديرة بالتقدير الأدبي المرموق. لقد فشل في ذلك الانتاج، لكنه استغل سنوات الكفاح تلك، فاوجد حوله مجموعة من الاصدقاء والمعارف. كان بعضهم مشهورا في عالم الأدب. ومن اجل الحفاظ على سمعته كأديب عبقري، وبالرغم من جهوده المهدورة، جعل سكرتيرته تقسم بأن لا تفشي سر نوعية الكتابة البوليسية التي يمتهنها. ولكن الرجل الغريب الى جانبها، يرفض اقفال الموضوع لسبب ما. وهكذا استمر يسأل:

- هل يكتب روايات رمزية معقدة، ام انها سهلة الفهم على مخلوق عادي مثلي؟ هل تفهمينها انت؟

- اجل، انا افهمها.

متى سيكف عن تحرياته؟ الا انه تابع:

- الآن بدأت الامور تتضح... اذا كانت كتبه لا تستعصي عليك انت، فلن تصعب علي ايضا. هل هي روايات رومانسية؟ تاريخية؟ سياسية؟ ام علمية خيالية؟

www.elromancia.com

لم ترد.

- ما هي؟

كرر السؤال بالحاح اثار اعصابها فاجابت في نزق:

- لا يمكنني البوح بنوعيتها.

وسرعان ما ندمت وتمنت لو بقيت صامتة، فعبارتها اوحت بوجود مكيدة او اسرار، وهذا الرجل النبيه شم الرائحة فورا!

- اذن هناك بعض الغموض حوضا؟

توقفت عند درب ضيق يتفرع من الطريق العام، وسبقها الكلب اليه راكضا كالبرق لمعرفته به... وقالت للرجل:

- بيتي بات قريباً. فوداعاً يا سيد...

لم يزودها بالاسم المطلوب ووضع يده على ذراعها... تصلبت عضلاتها وتمنت لو ان قلبك بقي قريبا. وقال الرجل، وكأنما لا حدود لوقاحته:

- ارجو ان تسمحي لي بالقول يا آنسة غارون اني ارغب كثيرا في رؤيتك مرة ثانية. فابتعدت عنه قليلا وقالت متلعثمة:

- اوه... لكني لا اعتقد.

فقاطعها ليمنعها من الاستمرار:

- هل لنا ان نلتقي لنتنزه، او لنتناول الشاي في الحديقة العامة؟

تنفست عميقا وبدأت تهز رأسها وتقول:

- لا، اشكرك و...

- هل نلتقي الليلة؟

وعادت تلمح في ابتسامته تلك الاشارة المألوفة، ومضى هو وكأنما يفسر الحاحه:

- وصلت هنا اليوم، وانا غريب في المنطقة، لذا سيسرني ان اجد من يرافقني في تنزهاتي.

فودت لو تقول، عبثا تحاول يا من لا اعرف اسمك لأني مخطوبة وسأتزوج رب عملي في المستقبل القريب. لقد طلب يدي قبل ثلاثة اسابيع، واتفقنا ان نبقي خطوبتنا سرا في الوقت الحاضر. حتى امي لم اطلعها على الخبر.

انه اطول منها بكثير. ولما تطلعت اليه، لحظت شعره الكث الأسود يتبعثر على جبهته. ورأت بياض يده وحساسية اصابعه الطويلة حين مررها في خصلاته المتمردة واعادها الى مكانها. حدق فيها بعينيه البنيتين المتسائلتين وعادت ابتسامته الحربائية هذه المرة، لتعبر عن تحول موقفه الأليف الى توسل خفي وحار تقريباً.

لكن على الرغم من سرورها وغرورها برسائل الاعجاب المنطلقة من عينيه، فقد صعب عليها الاقتناع بانه استطاع في هذا الوقت القصير ان يعجب بها الى حد جعله يرغب في رؤيتها ثانية. فهي لم تلق هذا الاهتمام من اي رجل من قبل، ولا حتى من خطيبها نفسه.

نظرت الى الرجل ثانية، وبرغم تعبير وجهه الغامض، ادركت انه كان واعيا حيرتها وشاعرا بالتجاذب الذي كانت تصارعه في اعماقها. ليس هناك اي شك في ان هذا الغريب رجل جذاب الى درجة الخطر!

ضحك اخيرا فاختلت نبضات قلبها... قال:

- أتعلمين يا آنسة غارون... لو ان خواطرك في الدقائق القليلة الماضية امكن تسجيلها على رسم تخطيطي، لأظهرت قفزات عجيبة بين درجات الصعود والهبوط، واخالها الآن قد تسطحت في خط مستقيم وتوصلت الى قرار معين. فهل الجواب نعم؟

عاد قلبك عندئذ يركض، وطرح نفسه على ساقي ادريان، فاختل توازنها قليلا. سارع الرجل الى اسنادها وقال محذراً الكلب:

- على مهلك يا قلبك، يكفيك ما احدثت اليوم من ضرر لسيدتك ولا حاجة للمزيد.

واستجاب قلبك بتحويل اهتمامه الى الغريب حيث طفق يشمشم قدميه في انفعال فطري. وسألها الرجل:

- ما هو جوابك يا آنسة غارون، نعم ام لا؟

- انا...

- اذن هو نعم. اني اعتبر التردد قبولاً، ولا سيما لدى النساء، حين لا يعطين جوابا قاطعا بالرفض. سنلتقي الليلة هنا اذن، ولنقل في السابعة والنصف.

انحنى وابعد الكلب عنه بلطف وداعب شعره. ثم استوى في وقفته

www.elromancia.com

ولوح لها بيده مبتسما وسار مبتعدا!

حالما دخلت الردهة، تناهى اليها صوت امها آتيا من الطابق العلوي:

- هل عدت يا ادريان؟

لحظت التشديد البسيط على مقطع اسمها الأخير، ونسة الاستعطاف التي كانت تضايقها كلما خاطبتها امها باسمها. وتابعت تقول من فوق:

- أصبت بصداع رهيب فأسدلت الستائر وها انا استلقي على الفراش. هل لك ان تتدبري الأمور يا عزيزتي وتهيئي الشاي؟ كان بودي ان اساعدك لكني...

كانت ادريان معتادة على صداعات امها التي طالما برزتها بقولها: «اني شديدة الحساسية تجاه الانفعالات يا عزيزتي...» وكانت تستسلم لتلك النوبات في معظم الاوقات وبملء ارادتها تقريباً، وكان اصابتها بهذا النوع من الصداع يعطيها امتيازا معيناً. كذلك كان الصداع عذرا يعفيها من معظم اعمال البيت فتضطر ابنتها للاضطلاع بهذه المسؤولية عنها.

اكدت لها ادريان بصوت مرتفع انها ستتدبر الامور بمفردها، وتنهدت متضايقة من مهمة تحضير الشاي بدل ان تقوم امها بهذا الواجب لمرة واحدة على الأقل، وتتيح لها الاستمتاع بترف الاسترخاء... تسلل فليك الى غرفة نومها فصرخت فيه لورنا غارون مؤنبة:

- أبعديه عني!

وحين وصل الكلب الى الردهة، تزحلق وتلوى على ارضيته الخشبية الملمعة.

وفيما عكفت على طهو شيء لها ولأمها سرحت تفكر في الرجل الغريب الغامض. أحست بوجهه يعذبها، وتملكتها قناعة عنيدة بأنها رأته مرة من قبل. لكن كيف يعقل ذلك وقد اخبرها بنفسه انه غريب عن المنطقة وجاءها اليوم فقط؟ هزت كتفيها محاولة ابعاده عن ذهنها. انها لا تنوي مطلقا ان تلتقيه الليلة كما طلب، فأخلاقها تأبى عليها الخروج مع رجل التقته بطريقة عرضية ولا تعرف حتى اسمه... ولو لم ينعقد لسانها ويشل ذهنها الى ذلك الحد لصارحته بموقفها هذا.

كانت على وشك الانتهاء حين قالت امها من فوق انها لا تقدر ان تأكل شيئاً. وتذمرت من رائحة الطعام الكريهة التي كانت تزيد صداعها...

فتنهدت ادريان مرة اخرى، انما اضطرت الى الاعتراف بأن الحق عليها، فلولا انشغال افكارها بذلك الغريب المزعج لتذكرت ان تسأل امها مسبقا عما تود ان تأكله.

تناولت طعامها وودت لو تستطيع نسيان الرجل... غسلت الأواني ونظفت المطبخ، ثم مضت تراقب عقربي الساعة وهما يقتربان من الموعد الذي ضربه للقائها. تخيلته ينتظر في نهاية الدرب، وربما يتقدم قليلا ليتأكد من قدومها. احست اسى رهيباً لكونها اضطرت الى خذلانه.

تقدم عقربا الساعة، فعنفت نفسها على سوء تصرفها. من الخطأ ان تخيب امل اي شخص، حتى لو كان غريبا عنها تماما، لا سيما انه ابدى رغبة كبيرة في رفقتها... وبدأت تشعر بالحزن عليه...

ها قد مضت ساعة على الموعد المضروب ولا شك انه عاد ادراجه خائبا... احست كمن يتلقى فجأة ضربة قاتلة فتهاوت على المقعد... لقد ضيعت فرصتها الوحيدة ولن تراه ثانية في حياتها!

٢ ـ ها نحن نلتقي

في صباح اليوم التالي، وقبل ان تتوجه ادريان الى عملها، دخلت على امها لتطمئن عليها. كانت ما تزال في سريرها وقد فرغت من تناول الفطور الذي حملته اليها ابنتها باكرا.

وجدتها جالسة على فراشها، مغمضة العينين، تشبك يديها على الغطاء وهي تصغي الى موسيقى هادئة تنبعث من راديو الترانزستور الى جانبها. كانت شقراء الشعر ذات بشرة شاحبة باهتة. انما تبدو فتية رغم سنواتها الاربع والخمسين. كان وجهها مكرساً لحب الذات. قالت وهي تنهد:

ـ سانهض بعد قليل... لقد دعوت بعضا من اعضاء لجنة المهرجان لشرب القهوة، وليتني ما فعلت... هل...؟

ـ تقصدين الصحون؟ نعم، جلبتها ورتبت غرفة الاستقبال وحضرت

الفناجين والحليب، وعيرت القهوة في الابريق فلم يبق عليك الا ان تشعلي النار تحته.

فمدت يدها ولمست يد ابنتها قائلة:

ـ ماذا كنت سأفعل بدونك؟

فهزت الفتاة كتفيها واجابت مبتسمة:

ـ لا موجب لقلقك، سأبقى دائما هنا، اليس كذلك؟

هذه هي الحقيقة، قالت في نفسها وهي تقطع المسافة القصيرة بين بيتها ومنزل كليفورد دينينغ... وحتى عندما تتزوجه وتسكن معه ستظل قريبة من امها لتكون قادرة على مساعدتها في كل ما تحتاجه.

هتفت لكلبها الذي كانت تأخذه معها يوميا بناء على إلحاح امها ورفضها العناية به في غيابها، لأنه في نظرها اكثر ازعاجاً من طفل.

ولما مرّت حيث اقترح الغريب ان يلتقيا، اشاحت بوجهها عن المكان كما لو ان جريمة رهيبة قد ارتكبت فيه... ضميرها ما انفك يعذبها، ويصرخ مؤنباً كأب غاضب، لأنها خذلت الرجل ليلة امس.

كان فليك سبقها بمراحل لمعرفته الجيدة بالطريق. كليفورد من جهته، لم يعترض مرة على وجود الكلب مع ان لا مكان للحيوانات في حياته، لكنه تحمله لغاية الآن لئلا يخسرها كسكرتيرة جيدة. وبما انها اصبحت الآن خطيبته، لم تعد لديه حجج كثيرة لمنع دخول الكلب الى المنزل. وهكذا استمرت تصطحب فليك تبعا للاتفاق السابق.

كان منزل كليفورد كبيرا واقدم من بيت امها، انما افضل منه حالا. النوافذ الخلفية تطل على حدائق منسقة، فيها ورود ومقاعد خشبية وممرات عديدة. وفي وسط هذه الغابة المصغرة يقوم كوخ صغير كانت ادريان تستعمله كمكتب. فكليفورد ما كان يطيق ضجيج الآلة الكاتبة ولذا اختار لها هذا المكان لتطقطق فيه بعيدا عن سمعه الحساس.

وكان فليك دائماً معها، في الصيف تترك الباب مفتوحاً ليدخل ويخرج على هواه، وفي الشتاء يخدش بمخالبه الباب المقفل، فتترك الطباعة لتفتحه له.

كليفورد لم يأت ابدا الى الكوخ، وكانا يعملان في غرفته حيث يملي عليها افكاره، وتنتظر هي في صبر حتى ينسق عباراته وينقحها اذا اقتضى

www.elromancia.com

الأمر. لم تكن لديها ساعات عمل معينة، فاحيانا يطلب اليها الا تأتي قبل الظهر وان تشتغل عصرا ومساء. والآن وقد اصبحت خطيبته، صارت تراه اكثر. وسؤاله لها، «هل تتزوجينني يا ادريان؟» لم يحدث اي فارق في علاقتهما، سوى انه صار يتذكر بين الحين والحين ان يحيطها بذراعه حين تصل صباحاً او تودعه مساءً.

لما فتحت الباب الامامي العتيق وصعدت الدرج، وجدته في سريره. لكن ذلك كان امراً طبيعيا بالنسبة لها، فهو لا يغادر فراشه الا قبيل الظهر. وكثيرا ما برر كسله بأن افكاره تتجلى وتتفتق عندما يكون في منتهى الاسترخاء، ولا يتم له ذلك الا في سريره. قال كذلك ان قلبه ليس سليما كقلوب الناس. وعليه بالتالي ان يريح جسمه قدر المستطاع ويبذل نفسه قليلا من باب الاحتياط.

لحق بها فليك وقفز في ارجاء الغرفة وهو يحمل خف كليفورد بين اسنانه ويهزه حتى نهرته سيدته فأعاده الى مكانه. ثم تزحلق على جلود الخراف المطروحة على الارض الخشبية الملمعة. وقذف سلة المهملات عالياً وراح ينهمك بتقطيع الأوراق التي تبعثرت على الجلود.

كانت ادريان ما تزال تحس بالخجل من خطيبها، فترددت في معانقته الا ان الكلب ضايقه الى حد جعله ينسى قضية العناق هذه. . . قال لها ساخطاً:

ـ اخرجيه من هنا!

فدفعته ادريان بالقوة خارج الغرفة ووقفت على العتبة ترقبه وهو يتلصص من بين قضبان الدرابزين ويشمشم أبواب الغرف المقفلة. ثم يتوقف عند باب معين ويبقى قبالته لبرهة من الوقت.

سمعت كليفورد يناديها بعصبية فأغلقت الباب وتركت فليك وشأنه. كانت موقنة من انه سيجد طريقه الى المطبخ حيث تستقبله السيدة ماسترز مدبرة المنزل، وتهتم بأمره.

تناولت دفترها من احد الدواليب وتهيأت لتلقي املاءات كليفورد. ثم اخذت تتفحصه وهو مستغرق في تجميع افكاره. . . انه في الثالثة والاربعين، اصغر سناً من امها باحدى عشرة سنة. ووجهه مثل وجه لورنا، قليل الخطوط، انما من حيث اللون كان يتميز باحمرار حول الخدين

شعره البني الفاتح يشوبه بعض الشيب، وعنقه بدأ يمتلىء انسجاماً مع سائر جسمه المتزايد الوزن بسبب نهمه الى الطعام، على الرغم من حالة قلبه. وفي لحظة صدق مؤسف، اقرت ادريان بأن كبر السن بدأ يظهر عليه. لكنها كانت اصغر منه بثمانية عشر عاما، وستزوده في السنوات الآتية بكل ما يحتاجه من قوة معنوية وجسمية.

قهوة الصباح قطعت عليهما الاملاء، حين أتت بها السيدة ماسترز، وهي امرأة طويلة نحيلة ذات طبيعة دافئة يسترها مظهرها الضامر الهزيل. تبادلت مع ادريان بضع عبارات مرحة ثم تركتهما.

احتسيا قهوتهما في صمت ولم تجرؤ ادريان على الكلام لعلمها ان كليفورد كان غارقا في التفكير يصوغ في ذهنه المقاطع التالية، او يهيء فصلا بكامله. واعترفت لنفسها وهي تبتسم في حزن، بأنه دربها جيدا كسكرتيرة. ومن المفروض ان تكون زوجة مثالية له، لا تتكلم الا عند الاقتضاء، ولا تقطع عليه ابدا فيض افكاره. لكن هذه الرؤيا لم تقلقها كثيراً لأن التأليف كان بهجة حياته، والمرأة لا تحرم زوجها من فعل شيء غالٍ على قلبه.

عملا حتى موعد الغداء ولما استعدت للخروج، اقتربت منه بانتظار ان يعانقها، بيد انه ربت على كتفها في شرود، فكتمت خيبتها وهي تحاول اقناع نفسها بأنها لا يجب ان تكون انانية حين يكون منشغل الخاطر بعمله بل يجب ان تتعلم ألا تمزج الناحية العملية في حياتها بالناحية العاطفية.

بعد الغداء عادت الى العمل حاملة معها النصوص التي املاها عليها كليفورد واتجهت رأسا الى الكوخ القائم في آخر الحديقة. فتحت الباب بالمفتاح وهجم فليك الى الداخل يشمشم الزوايا المألوفة ثم ركض خارجا ليقفز بين الاشجار.

أكبت على الطباعة لفترة وغرقت في عملها. سمعت فليك يعوي بانفعال فحسبته وجد قطة ضالة على شجرة. ثم فتح الباب وسمعت صوتا يقول:

ـ كيف حال الكدمة؟

فاستدارت بعنف وكادت عيناها تخرجان من وجهها لشدة اندهاشها. . . كان الرجل الغريب يقف على العتبة، وبكل ذلك الطول

www.elromancia.com

الذي جعله يحني رأسه لئلا يلامس سقف الباب. كان يقف مبتسما، مسترخيا، ومتلذذا بدهشتها وارتباكها. لم تقدر ان تنطق بأي شيء، وراح قلبها يدق بضجيج عشرة طبول دفعة واحدة.

تجول الزائر في الكوخ ثم لمس التورم على جبينها وقال وهي تبتعد عنه بسرعة:

- ازرقت الكدمة كما توقعت وصارت بلون عينيك.

هجم فليك عليه وهو يجعر ويقضم شريط حذائه فقال له الغريب:

- أهلا ايها الكلب، ها نحن نلتقي مرة اخرى.

حمله من على الارض واستقر فليك بين ذراعيه لاهثاً فتابع يخاطبه:

- قضينا اليوم صباحا ممتعاً، أليس كذلك يا صديقي؟

فهمست ادريان متلعثمة:

- ماذا... ماذا تقصد؟

- آه، سيدتك لم تفقد قدرتها على النطق كما خيل الي.

ثم أنزل الكلب واجابها مفسرا:

- هذا الصباح كان يخدش على باب غرفتي لكونه اشتم رائحتي، فدعوته الى الدخول.

- انت تقيم في البيت؟

اومأ برأسه فتابعت:

- لهذا السبب اذن تقرب اليك بالأمس في نودد، لأن رائحة البيت على حذائك.

- استنتاج بوليسي رائع وعلى مستوى انتاج خطيبك... يجب ان يضعه في احدى رواياته.

- وماذا تعرف عن كتب كليفورد؟

- أعرف عنها اكثر بكثير مما تتصورين، فأنا شقيقه.

ابتسم لدهشتها وتابع:

- الخبر صعقك كما توقعت. الم يذكر اسمي لك ابداً؟ لا، استبعد ان يكون فعل، فهو لا يحبني كثيرا وما احبني في حياته.

- اذن لهذا السبب...

- اذن ماذا؟

- خيل الي امس اني اعرفك. كنت اكيدة من انني رأيتك في مكان ما، واكيدة من عكس ذلك في نفس الوقت.

- يا الهي! لا تقولي اني اشبه اخي الحبيب، فلن احتمل شبهاً كهذا!

- لكنك حققت معي امس في شأن كتبه، فلماذا فعلت ذلك ما دمت...

شهقت قليلا وأكملت:

- آه، كنت تمتحنني! أردت ان تمتحن قدرتي على كتمان السر؟

ابتسم موافقاً، وتابعت:

- ثم رتبت موعدا للقاء ثان، مع انك كنت تعرف طوال الوقت انني مخطوبة!

- لكنك لم ترفضي طلبي باللقاء. أليس كذلك؟

- انا... انا... لم اقل انني سألاقيك.

- كذلك لم تقولي لا، كما يفترض في الفتاة المخطوبة ان تفعل! لماذا لم تكوني صريحة وصادقة؟ هبي اني كنت رجلا غريبا بالفعل والححت عليك اكثر، فماذا كنت ستفعلين؟ لا بد انك تحبين اخي فعلا!

- اذن كنت تمتحنني في هذا الموضوع ايضا؟

فأجاب مفسراً:

- حالما سمعت بخطوبة اخي، دفعني الفضول الى معرفة هذه الفتاة التي ترضى بأن تربط مصيرها بمصيره. كنت واثقا من انها لم ترض به بدافع الحب، فلم يبق اذن الا الدافع المادي. هكذا استنتجت اخيرا، وكنت مصيبا، اليس كذلك؟

- كلا. كنت مخطئا في استنتاجك!

- استميحك عذرا ان قلت اني لا أصدقك. الا اذا كنت قبلت به من باب الشفقة.

- بالطبع لا! لقد وافقت لأنه... من اجل...

توقفت اذ عجزت عن تمرير الكلمات المطلوبة من بين شفتيها. فقال ناظراً بحدّة:

- لا تقولي انك تحبينه؟

- لا تدع تحاملك الأخوي يعميك عن مزاياه الجيدة.

www.elromancia.com

- وهل يمتلك شيئاً منها؟ هذا خبر جديد بالنسبة الى معرفتي الطويلة به.

فتركت بصرها يتلكأ قليلا على وجهه وقالت:

- انت اصغر منه سناً.

- هذا تصريح لا يمكنني الطعن فيه، فأنا اصغره فعلا بسبع سنوات.

- اذن، عمرك ستة وثلاثون عاماً.

فهتف مخاطباً الكلب الرابض عند قدميه:

- حمدا لله يا فليك على شطارتها في الحساب!

فاستدارت ادريان الى عملها نافدة الصبر ولكن قبل ان تواصل الطباعة، كان لديها شيء تريد معرفته فقالت بشيء من السذاجة:

- يؤسفني اني خذلتك ليلة امس، فهل انتظرت طويلا؟

فألقى برأسه الى خلف مقهقهاً وقال:

- لم انتظر اطلاقا لأني لم اذهب الى الموعد، وما نويت ان اذهب. هل انتظرتني انت طويلا؟

فعبست بشدة واجابت:

- بالطبع لم اذهب.

لعنت نفسها على غبائها، وادارت له ظهرها متعمدة علّه ينصرف عنها، فهي لا تشعر بأي ميل الى شقيق خطيبها هذا!!

لكنه قال:

- طلبت الي السيدة ماسترز اخبارك بأن تتفضلي الى البيت لتناول الشاي.

- اني اتناوله هنا عادة، في اثناء العمل.

- حقا؟ لكن الوقت حان لتفعل ذلك في غرفة الاستقبال تبعا للأصول.

فسارت معه مرغمة بين الممرات الملتوية وعبر الاشجار ومساكب الورود. وكان فليك يحوم حوله طوال الوقت ويقفز على ساقيه وقدميه، وبدا الرجل مسروراً بمداعباته. وقال لها مبتسماً:

- كلبك يحب صحبتي على الأقل وعلى الرغم من نفورك منها.

استقبلهما كليفورد جالساً على الأريكة وواضعاً ساقاً فوق ساق. نظر اليهما بما يشبه الشك وقال بصوت عبر عن مزاجه الحساس:

- تأخرتما في الوصول. يبدو انكما تعرفان بعضكما.

فأجاب اخوه:

- كم انت حاذق يا أخي، لكن من الطبيعي ان يتوقع المرء هذا الحذق من رجل بوليسي الذهن مثلك.

وقاد ادريان الى مقعد وثير بتهذيب مفتعل، ثم تابع:

- التقينا عصر امس في الحديقة العامة.

ثم جلس وطفق يراقب الفتاة وهي تسكب الشاي تاركا اخاه ينتظر مزيدا من الايضاح. وفيما هي تناوله فنجانه، نظر اليها وقال مخاطبا شقيقه:

- اذا اردت الصدق، فقد التقطتها هناك.

فتضرج محياها وانسكب الشاي على صحنه. بيد انها لم تعتذر لشدة غضبها منه.

فقال كليفورد:

- ماذا تقصد بحق الجحيم؟

فاعترضت ادريان بصوت مرتفع محاولة تبرئة نفسها:

- هذا ليس صحيحاً يا كليفورد، كان الحق على الكلب الذي....

فقال الغريب:

- آسف يا عزيزتي ادريان. كانت تلك الحقيقة بعينها.

أغاظها ان يخاطبها باسمها الاول بهذه السهولة، لكنه استدار الى اخيه وقال مبتسماً:

- كان الأمر بسيطا للغاية، ولا اذكر اني التقطت امرأة في حياتي بمثل تلك السهولة.

وراح يراقب الفتاة الثائرة بتشف خبيث، ثم حول نظراته الحاقدة الى اخيه، وكأنهما يعودان الى ايام الحداثة ويتصارعان بالكلمات وتابع يقول ممعناً في خبثه:

- وأزيدك علما بأن خطيبتك وافقت على لقائي ليلة امس لنذهب... في نزهة.

بدت الحيرة على كليفورد، وسأله:

- أكنت تعرف انها خطيبتي؟

- نعم، فهي اخبرتني اسمها، وهذا شيء آخر فعلته بملء ارادتها. الا انها لم تسألني اسمي وما زلت استغرب ذلك.

www.elromancia.com

ابتسم لها ليوقعها في شرك، وسألها:

ـ الا تهتمين بمعرفة اسم الرجل قبل ان توافقي على الخروج معه؟ هل كل صداقاتك قصيرة العمر والى حد يشعرك بأن معرفة الاسم لا تستحق الاهتمام؟

استمر يواجه ثورتها مبتسما وقال لأخيه:

ـ يبدو ان خطيبتك تتمنى لو تخنقني.

ثم قال لها:

ـ ليس من الحكمة ان تسيئي معاملة سلفك العتيد لئلا توجدي جوا عدائيا في محيط العائلة.

وابتسم هذه المرة لأخيه وخاطبه قائلا:

ـ على ذكر القرابات العائلية، هل لك ان تقوم بالتشريفات فتعرفني الى خطيبتك رسميا؟

فقال كليفورد بشيء من التردد وبكثير من الارتباك:

ـ أدريان، أقدم لك موراي أخي الاصغر. موراي، هذه خطيبتي، أدريان... يا له من تعريف سخيف!

ثم نهض وأكمل:

ـ اني لا اصدق اي كلمة قلتها يا موراي، فأدريان، من دون سائر الفتيات، لا يمكن ان ترضى بان تلتقط هكذا. أليس كذلك يا عزيزتي؟

طرح عليها السؤال متوسلا، فسارت اليه ووضعت يدها على ذراعه قائلة:

ـ تعرف جيدا انني لا اقدم على ذلك يا كليفورد.

فربت على يدها وخرج، وهمت هي باللحاق به حين قال موراي بابتسامة ساخرة:

ـ البطل يخرج بعد موقف عاطفي حار، والبطلة تلحق به متلهفة الى المزيد. يا له من مشهد مسرحي صبياني يقوم به ممثلون هواة... متى ستدب الحياة في البطلين؟

استيقظ فليك من غفوته حين اتجهت سيدته الى الباب وهم باللحاق بها، لكنه استدار حين ناداه موراي قائلا:

ـ فليك، هل تخرج معي في نزهة؟

فطار الكلب فرحا حين سمع كلمة نزهة، وسألها موراي:

ـ هل لديك طوق لفليك؟

ـ نعم، انه معلق في البهو. لماذا تريده؟

ـ لأنه يريد التنزه معي وانا اريد اصطحابه.

ـ يجب ان تطلب الاذن مني، فهو كلبي.

ـ لكن هذه رغبته، ألا ترين ذلك؟

كان فليك يدور كالمجنون حول ساقي موراي وقدميه، فانحنى ليداعبه ثم نظر اليها قائلا:

ـ فليك صديقي الوحيد في الوقت الحاضر.

ثم اضاف وكأنما تذكر اعتراضها:

ـ هل تأذنين لي باصطحابه؟

فاجابت باقتضاب:

ـ لا مانع اذا كنت تريد ذلك.

ولدى خروجها من الباب، احست بما يشبه الغيرة فدمعت عيناها... لا تصدق ان كلبها استطاع بهذه السرعة والحرارة ان يتحول من حبه واخلاصه لها الى حب هذا الرجل الذي باتت تنفر منه كثيرا.

كانت مكبة على الطباعة حين عاد موراي. انفتح باب الكوخ واندفع فليك الى الداخل، ليرتمي قرب المكتب متعبا لاهثا.

اما موراي، فدخل من دون ان يعتذر عن ازعاجها، واسند ظهره الى احدى الخزائن الحديدية وقال وهو يكتف ذراعيه:

ـ ها هو كلبك يعود اليك سليما. انه لم يفتقدك، وقد تسلى كثيرا بلعبة العصي، انا اقذفها بعيدا وهو يجري ويعيدها باسنانه. هل تمارسين معه هذه اللعبة في نزهاتك معه؟

ـ بالطبع أفعل ذلك.

ابتسم بغرور وقال:

ـ اذن هناك قاسم مشترك بيننا. هواية قذف العصي. انها خطوة صغيرة انما ايجابية في تأسيس علاقة افضل ما بيننا، فعما قريب سنصبح عضوين في عائلة واحدة.

فقالت باستياء:

- لا حاجة لأن تذكرني بهذه الحقيقة في استمرار.

ضحك عاليا واجاب:

- لا شك اننا سنعقد صحبة ممتازة من خلال هذه القربى.

قرأ بضع عبارات من الكتاب الذي تطبعه وقال معلقاً:

- يا له من مضمون شرير وسخيف! لا عجب ان يخجل الى هذا الحد مما يكتبه ويصر على كتمانه! احسبك تعرفين ممن ستتزوجين؟ مسكين كليفورد! ذهنه دائما اقل مستوى من ذهن العصفور الدوري، وقد اجرح بكلامي هذا احساس العصافير!

فسارعت الى القول مدافعة عن خطيبها:

- انه يؤمن دخلا جيدا من كتبه.

- صحيح، ولا ريب ان هذا يسرك، اذ لن تمضي بضعة اشهر حتى تصبحي شريكته في الثروة.

فقالت بنزق:

- تبدو وكأنك تغار منه.

فاطلق ضحكة قصيرة لينكر زعمها واجاب:

- وممّ أغار؟ من فتاته ام من ثروته؟

- من ثروته كما تدعوها، فلا شك ان كفاءتك الانتاجية أقل مستوى من كفاءته.

فسخر قائلاً:

- كلمات ضخمة بالنسبة الى سكرتيرة مساعدة، غريرة وجاهلة. فأنت لا تعلمين شيئا عن مؤهلاتي ولا عن حسابي المصرفي او عني شخصيا. لا تعلمين حتى نوع عملي.

فانطلق جوابها على الرغم منها:

- لكني اعلم انك تكره اخاك وتكرهني لأنني سأتزوجه.

- اخطأت في وصف شعوري بالكراهية. اني اشعر ازاءه باللامبالاة وازاء كل فتاة يصل بها الغباء الى حد القبول به زوجاً.

خيم عليهما صمت مؤلم... فأخذت تحدق في الكلمات المطبوعة وبدت لها بلا معنى.

انحنى وقبض على ذقنها، ورمقها بعاطفة غريبة وهو يقول:

- لماذا تدفعينني الى قول أشياء تجرحك؟ أجل، اني اجرحك واستطيع رؤية الألم في عينيك... لم اتعرف اليك الا من وقت قصير، ولكني لسبب ما، وبرغم براءتك وصغر سنك، أجدني راغباً في ايذائك. ما عرفت امرأة من قبل احدثت في هذا التأثير المثير للقسوة، بل العكس هو الصحيح... الرغبة في مداواة الجراح لا التسبب فيها.

فردت بمرارة:

- سبق وان قلت لك، انك تعتبرني امتدادا لأخيك، وبالتالي انت لا تهاجمني شخصياً بل تهاجمه هو من خلالي. لا تنسى اني سأصبح جزءاً منه في المستقبل القريب.

ارخى ذقنها فجأة، وعاد الى تجريحها قائلاً:

- تحسبين نفسك طيبة نفسانية، أليس كذلك؟ من الأفضل ان انصرف قبل ان تحسبي هذه الغرفة عيادة وتطلبي مني التمدد على أريكة الاستجواب!

تركها عائداً الى البيت، وهم فليك بأن يلحقه لكنها أمرته بأن يبقى مكانه.

www.elromancia.com

٣ - عينان تنفتحان

في الصباح التالي دخلت غرفة كليفورد لبدء العمل، فخالته ما يزال نائماً الا انه نهض جالساً في وهن حين احس بها تقف قرب السرير. لم يكن حلق ذقنه بعد، وبدا وجهه شاحباً قليلاً، لكن صوته كان طبيعياً لما تكلم، ورأت ادريان بقايا فطوره على الصينية القريبة.

ـ اشعر اليوم بشيء من التوعك يا عزيزتي، وعلي ان اراعي صحتي كما تعلمين.

امسك بيدها وقرّبها منه ثم ربت على خدها بيده الاخرى. فوجئت وانتابها بعض القلق من هذا التصرف الغريب، وتابع هو يقول:

ـ هل تدركين ان حياتنا بعد الزواج ستختلف قليلاً عن حياة الأزواج الآخرين بسبب اضطراب قلبي، واضطراري الى وجوب الاحتراس؟ هل تدركين ذلك؟

كرر السؤال، فيما بدت عيناه كعيني طفل وهما تنتظران تطمينها وتطالبانها باعطاء الجواب المناسب.

فأعطته اياه قائلة:

ـ بالطبع ادرك ذلك يا كليفورد.

فأومأ برأسه راضياً، ثم اشار الى احد الجوارير وقال:

ـ ستجدين فيه فصلاً جديداً كتبته بنفسي بعد ذهابك الى البيت مساء امس، حيث تواردت علي الافكار فسارعت الى تدوينها.

قالت معاتبة:

ـ لو انك خابرتني لما ترددت في المجيء يا كليفورد.

فضغط على يدها واجاب:

ـ خطر لي ذلك يا عزيزتي. لكن قلبي لم يطاوعني على استغلال طيبتك الى هذا الحد.

وجدت الأوراق المطلوبة، وقال وهي تستعد للخروج:

ـ عندما تنتهين من طباعة هذا الفصل، اذهبي الى البيت. خذي اجازة بعد الظهر وعودي مساء، فلعلني اكون تحسنت عندئذ لأملي عليك اشياء جديدة.

ظهر موراي في الردهة، وسألها حين وصلت اسفل السلم.

ـ تبدين كئيبة، هل تشكين من شيء؟

ـ انا بخير، لكن كليفورد ليس على ما يرام.

فقال على الفور:

ـ مم يشكو؟

ـ من قلبه. الا تعرف ان لديه ضعفاً في القلب؟

ـ وهل اخبرك ذلك؟

فأومأت واحست بالغضب تجاه هذا الرجل القاسي وكأنه ليس من البشر. وقالت:

ـ لماذا لا تصدق انه مريض؟ كيف تسمح لتحاملك عليه ان يعميك عن الحقيقة، ولماذا كل هذه القسوة على اخيك حتى في حالة المرض؟

فأجاب ساخراً:

www.elromancia.com

ـ تتكلمين كخطيبة نموذجية، ملؤها اللهفة والخوف على حبيبها. فيا فتاتي العزيزة، دعيني اطمئنك كزوجة عتيدة، بأنه ليس مريضاً ولا يشكو اضطراباً في القلب. انه يتوهم ذلك وهذا الوهم يخدم اهدافه.

اغضبها ارتيابه، فقالت حانقة:

ـ اصعد لتراه بنفسك، فلعلك تتأكد عندئذ من سوء حالته.

ـ سأفعل ذلك.

صعد الدرج قبل ان تقول شيئاً آخر، واستدار فسألها من فوق:

ـ هل عزف عن تناول الطعام؟

ـ لا، لقد تناول فطوره. ورأيت الصينية الفارغة.

ـ كنت مصيباً في ظني، فعندما يفقد اخي العزيز شهيته للطعام، اتأكد ساعتها من صحة مرضه.

في المساء، بدا كليفورد احسن قليلاً ولكنه قال:

ـ لا اشعر برغبة في الكتابة يا ادريان. ربما في الصباح اعود الى طبيعتي باذن الله.

كان فليك ينتظرها في الردهة فقالت له وهي تربط المقود بطوقه:

ـ هيا بنا نخرج في نزهة اخرى.

ـ هل لي بمرافقتكما؟

سألها موراي وكان واقفاً عند باب الصالون.

فقطبت ادريان وترددت، لكنه لم ينتظر جوابها بل تبعها الى الخارج وسأل:

ـ الى اين؟

ـ اذهب عادة الى الحقول.

ـ اذن هيا الى الحقول.

اخذ مقود الكلب من يدها فامتعضت من تصرفه الا انها لم تقل شيئاً... لماذا تعجز عن الاعتراض، كأية فتاة اخرى؟

كان الدرب يمتد متوازياً مع السياج، واخذ يضيق لدى مروره بجانب القمح المزروع بكثرة. تركها تسير امامه، ومشيا صامتين لبعض الوقت فيما سبقهما فليك بمراحل ثم اختفى عن بصرهما.

ولما اتسع الدرب ثانية، سارا جنباً الى جنب، فتطلعت اليه فابتسم لها،

وسألت بشيء من الخجل:

ـ ماذا تعمل يا موراي؟

فضحك واجاب:

ـ استغربت تأخرك في هذا السؤال لغاية الآن. حاولي ان تحزري.

ـ حسناً، عندما التقيتك اول مرة حسبتك صحفياً او حتى رجل تحر.

ضحك ثانية فقالت تبرر تحليلها:

ـ انك تطرح اسئلة كثيرة.

ـ ابتعدت كثيراً عن الهدف. انا اعمل في ابحاث جامعية معينة.

فسألت باهتمام بالغ:

ـ حقاً، وما هو موضوع البحث؟

تردد لبضع ثوان قبل ان يجيبها مبتسماً:

ـ دعيني اشرحه لك في كلمات بسيطة مع احترامي بالطبع لذكائك. المشروع المذكور، يبحث في التأثيرات الغذائية على اجزاء معينة من جسم الانسان.

انتظرت مزيداً من الشرح فخاب املها. وعادت تسأل لتستحثه على اشباع فضولها:

ـ هل تحاضر في الجامعة؟

تردد ثانية لكنها لم تلحظ. وقال:

ـ نعم، انا استاذ محاضر بشكل ما.

اقتنعت بهذا الا انها طرحت سؤالاً مختلفاً:

ـ انت... لست متزوجاً؟

ـ كلا.

ضحك للمرة الثالثة واضاف:

ـ هل انت مهتمة بي لأنك ستصبحين زوجة اخي، وتشعرين بالتالي بمسؤولية معينة تجاه مصالحي، ام انك تريدين فقط ان تعرفي لأسباب خاصة بك؟

حيّرها السؤال لكنها وقفت بين الشقين بقولها:

ـ هذا وذاك معاً.

وصلا قنطرة وعرة عند السياج، كان فليك قد مر تحتها حشراً، فصعدها

موراي وساعد ادريان على عبورها. ثم احاط خصرها بيديه وانزلها في الجهة المقابلة، وعلق بعدما افلتها:

ـ خفيفة كالريشة.

ولما عبست، اضاف مبتسماً:

ـ يا لهذا الخجل عند جيل متهم بالانطلاق والانفلات! وعلى ذكر الاجيال، كم عمرك يا ادريان؟

فأجابت بلا تحفظ:

ـ خمسة وعشرون عاماً.

واخي في الثالثة والاربعين، مما يجعله اكبر منك بثماني عشرة سنة، احسبك تدركين هذا الفرق الكبير؟

اومأت برأسها فسأل:

ـ الا تحسبين له حساباً؟

فأجابت بحدة وتحد:

ـ ولم القلق؟ فعندما نحب شخصاً...

ـ هل تحبينه يا ادريان؟

فراوغت قائلة:

ـ لو كنت لا احبه لما وافقت على الزواج.

ـ اشك في هذا.

رمقها بنظرة متفحصة مشفقة، فأحستها تخترق اعماق ذهنها وتكشف له اتجاه افكارها. ووجدت نفسها تتمنى لو انه لم يكن ثاقب البصيرة وعارفاً بالخفايا الى هذا الحد، فمن الظلم ان يلم بكل هذه الاشياء عنها من تلقاء نفسه، لكنها ما استطاعت ان تعرف بالتحديد مدى المامه هذا.

اشعرتها غرفة كليفورد بوجود جو دائم من المرض كما لو كانت غرفة في مستشفى. والاسوأ من ذلك انه بدا معتزاً جداً بهذا الجو. فتصرفاته وعاداته، كانت مصوبة فعلاً باتجاه شيخوخة مبكرة.

قضت الصباح تدوّن املاءات كليفورد الذي كان عاد الى طبيعته وبدا ذهنه اكثر اشراقاً حين راحت الكلمات والخواطر تتدفق منه كالسيل. خرجت من غرفته ظهراً، لتجد موراي يخرج بدوره من غرفته. رمقها بنظرة استفزازية، فادركت ان العلاقات بينهما عادت الى سابق عهدها،

وان النزهة بالأمس، والهدنة، وكل عبارات التفهم والتعاطف التي تبادلاها، اصبحت في خبر كان.

قال بنبرة متحدية:

ـ مرحباً، هل... ارهقكما العمل؟

قطبت لتلجم لسانه، لكنه تابع مبتسماً:

ـ لم يسعني كرجل، الا ان اشرد بتخيلاتي واتساءل... وبخاصة انك مخطوبة.

فردت حانقة:

ـ كنا نشتغل، واعني نشتغل.

فرفع يده مهدئاً وقال:

ـ لا تغضبي. اني واثق من ذلك لمعرفتي الجيدة بشقيقي. المسكين لا حيلة له في الأمر، والحق على تركيبته الاساسية. انما لو كنت في مكانه، ومعي فتاة تعمل طوال هذا الوقت...

ظلت بقية عبارته معلقة في الهواء، فنزلت الدرج ركضاً ووقف يراقبها حتى اختفت.

بعد الظهر انصرفت الى طباعة النصوص الجديدة، وكانت في منتصف عملها لما زارها موراي. بدأ فليك يرحب بصديقه الجديد عبر حركاته المعهودة، فقرفص موراي وطفق يلاعبه بتلك الخشونة اللامؤذية التي اعتادها الكلب واحبها. وطوال الوقت جلست ادريان متوترة الاعصاب تنتظر، ويداها مشبوكتان في حضنها... كلما دخل هذا الرجل، كانت شخصيته تملأ الكوخ... نهض ونفض يديه مما علق بهما من شعر الكلب، وقال ناظراً الى ظهرها المتصلب:

ـ ما زلت اتلقى الترحيب المعتاد من زوجة اخي المقبلة.

ـ ليتك تكف عن تسميتي هكذا!

فجلس على حافة المكتب وقال وهو يضع يديه في جيوبه:

ـ لماذا؟ هل عدلت عن الزواج منه؟ لن الومك ان كنت فعلت.

فردت عليه غاضبة:

ـ كلا، لا شيء سيجعلني اغير رأيي، لكني اتضايق من هذه التسمية لأنها تذكرني بعلاقتي معك في المستقبل.

www.elromancia.com

فضحك وقال:

- بديهتك في تحسن مستمر، ووجودي هنا يشحذ ذهنك على الاقل، لذا يجب ان نبقى على اتصال بعد ذهابي لئلا يصدأ عقلك من جديد.

كلمة ذهاب اخترقتها كرصاصة فسألت:

- هل تفكر بالرحيل؟

- ليس الآن. انما لماذا تسألين، اتريدينني ان ارحل؟

فاحمر وجهها وتمتمت:

- لا ... اقصد... انك بالكاد وصلت فكيف تعود بهذه السرعة؟

نظر اليها متأملاً وقال:

- ان كان يهمك ان تعرفي، فأنا سأقضي هنا معظم اجازتي الطويلة.

لم تجبه اذ خشيت ان يفتضح امرها. فالتقط يدها اليمنى وقال:

- لماذا لم يلبسك اخي خاتماً؟

- لانه يريد كتمان خطوبتنا في الوقت الحاضر.

- لماذا؟ هل يخجله ان تكوني خطيبته؟

- بالطبع لا! انه يتحاشى الضجة الاعلامية التي ستنتج عن اعلان الخطوبة، اذ يخشى ان تؤثر على صحته، كذلك يخشى ان يكتشف الصحفيون اسمه المستعار.

فأفلت يدها بعنف وهتف:

- يا للسخف! لم اسمع في حياتي اعذاراً واهية كهذه! هناك طريقة واحدة تجعله يبتاع لك خاتماً. ساهدده بأنه ان لم يفعل ذلك، فسأشتري لك واحداً بنفسي!

توجه الى الباب قبل ان تجيب وقال من خلف ظهره:

- طلبوا مني ان اعلمك بان الشاي ينتظرك في غرفة الاستقبال.

لما دخلت شعرت بتوتر الجو، وبدت على الاخوين آثار جدل حاد. كان موراي يجلس على كرسي منخفض الى جوار احد المقاعد الوثيرة، ولدى دخولها، ربت على المقعد وقال:

- تعالي واجلسي هنا يا ادريان.

وجه اليها الدعوة بلهجة آمرة فأغضبها ذلك الا انها امتثلت لأمره.

راقب كليفورد اخاه وهو يناولها الشاي ويقدم لها قطعة حلوى رفضتها منه، ثم قال:

- هل تريدين ان ابتاع لك خاتم خطوبة يا ادريان؟

فأدركت عندئذ انهما كانا يتجادلان حول هذا الأمر.

وقال موراي مخاطباً اخاه:

- لا تسألها بحق السماء بل قل لها انك ستبتاع خاتماً فهي بالطبع تريد ذلك.

ثم امسك يدها اليمنى واضاف:

- انظر الى هذه اليد كم هي خالية من الزينة! هذه الفتاة تخصك يا رجل، وحري بك ان تعلن خطوبتكما على الملأ.

لكن كليفورد عاد يقول وكأن اخاه لم يتكلم:

- اتريدين خاتماً يا ادريان؟

فسحبت يدها بعنف من بين اصابع موراي التي كانت بدأت تضغط عليها بشكل خفيف جداً. التقت عيونهما فارتبكت واشاحت بوجهها. كان كليفورد يرقبهما في شك وخشية ولم يخف هذا على موراي، فبدا انه يتقصد اللعب بمخاوف اخيه... لقد عادا الى خناقات الماضي الصبيانية وخصوماته، لكن المعركة صارت اليوم اكثر تجريحاً، والطعنات اعمق.

كان واضحاً ان موراي يستفز غيرة اخيه لأسباب خاصة به.

شعرت بالتوتر المتزايد، وكرهت موراي لامعانه في ايلام كليفورد ذي الشخصية الأضعف بكثير من شخصية اخيه، ولا يسعه بالتالي ان يواجه استفزازاته بالفعالية المطلوبة. ولذا قررت ان تنجده وتعطيه الجواب الذي يريد فقالت:

- اذا لبست خاتماً، سنضطر الى اعلان خطوبتنا في الجرائد فيعلم بها الجميع، وانت ستتضرر من انتشار الخبر، وقد اخبرتني ذلك بنفسك يا كليفورد.

اوحت نبرتها بأن الموضوع بات منتهياً بالنسبة اليها، بيد ان موراي رفض انهاءه، وقال مخاطباً اخاه:

- اذا اشتريت لها خاتماً من دون ان تعلن الخطوبة، فلن يعلم احد بانك الخطيب، وهكذا تتحاشى شيوع الخبر الرهيب الذي يخيفك الى هذا الحد.

www.elromancia.com

فأجابته ادريان بحدة:

ـ سيتسرب الخبر بالرغم من ذلك، فانا سأضطر الى اعلام امي، وهي في الواقع اكبر ثرثارة في العالم.

وهنا هتف موراي في دهشة:

ـ اما اخبرت امك بعد؟ كنت احسب ان ام العروس هي دائماً اول من يعلم!

يجب ان تضع حداً لهذا النقاش، فالأمر لا يخصه بل يخصها وكليفورد وحدهما. نهضت واقفة وقالت:

ـ عليّ ان أعود الى العمل.

فوقف موراي ايضا، وأحاط كتفيها بذراعه مشدداً قبضته عليهما ليمنعها من المقاومة، ونظر الى أخيه متحدياً.

فاحمرّ كليفورد، وزحف اللون على عنقه وغطى وجهه حتى حدود شعره. زم شفتيه كما لو كان ولداً صغيراً يرى أمه تقدم لعبته المفضلة الى طفل زائر. ثم نهض بتصميم غريب عن طبيعته اللينة، وسار الى حيث يقفان، فشبك ذراعه بذراع خطيبته وسحبها بعيداً عن أخيه.

فابتسم موراي كرجل حقق هدفه برضا تام.

أما كليفورد، فرافق خطيبته الى الباب ووعدها بقوله:

ـ سأبتاع الخاتم قريباً.

كان تصريحاً ايجابياً، ومع ذلك، لم يقاوم اضافة السؤال:

ـ أهذا ما ترغبين فيه؟

فنظرت الى موراي متحدية ثم أجابت:

ـ نعم، سيسرني لبس الخاتم.

بعد مرور بضعة أيام، كانت أدريان تطبع في الكوخ، عندما ظهر موراي حاملا فنجاني قهوة، وقال وهو يضع أحدهما على المكتب:

ـ واحد لك، وواحد لي.

تناول قطعة الحلوى من على صحنه ورماها الى فليك الذي تلقفها في فمه المفتوح ثم التهمها بامتنان قرير. وقال:

ـ آسف لازعاج السكرتيرة المثالية، لكن الضجر كاد يقتلني.

ـ لا يمكنك البقاء طويلاً، فانا مشغولة.

ـ وكالعادة، ترحين بي كثيراً.

وفكرت في نفسها، لو استطاعت ان تشرح له مدى ترحيبها الحقيقي به لملأت عباراتها كتاباً! احتسى قهوته حتى آخر نقطة، ووضع الفنجان على الصحن ثم نهض واقفاً فاضطرت ادريان الى اخفاء خيبتها، وقال:

ـ جئت فقط لأطرح عليك سؤالاً... هل ستخرجين في نزهتك المعتادة هذا المساء؟

ـ اذا كان الطقس جيداً. لماذا تسأل؟

فهز كتفيه واجاب:

ـ خطر لي ان ارافقك، اذ ليس لدي شيء افعله. لا اطيق رفقة أخي المملة وحيث لا هم له الا التحدث عن كتبه المألوفة.

ـ وللمرة الثانية تجدني افضل من لا شيء؟

لم يجبها، فتابعت:

ـ اذا شئت مرافقتي فلا مانع لدي.

ـ هذا لطف كبير منك. هل امر عليك في البيت؟

اضطرت الى اخفاء سرورها، وقالت:

ـ الأمر يعود اليك. لنقل حوالي الساعة السابعة؟

فأخرج مفكرته وقلمه برشاقة، وقال وهو يسجل:

ـ السابعة مساء، موعد مع زوجة اخي العنيدة والكلب.

اعاد المفكرة الى جيبه وخرج بادي السرور من نفسه.

كانت ادريان في انتظاره لما وصل، وعلى ذراعها كنزة صوفية احتياطاً لبرودة الجو. ما كانت لتعترف بانفعالها الا انه كان يغرغر في داخلها كنافورة ماء، ولا سبيل الى انكاره. كانت اعلمت امها بقدوم موراي وقالت انه شقيق مخدومها وقد جاء ليقضي العطلة عند اخيه، وهنا ذكرت نفسها بأن لا تشير اليه باسم كليفورد.

كانت لورنا تضطجع على الاريكة كعادتها، وقد اكثرت قليلاً من استعمال المساحيق واضافت الى عطرها رشة خفيفة، فتساءلت ادريان عن سبب هذا الاهتمام.

رآها موراي تتطلع الى قدومه من خلال النافذة، وحين فتحت له الباب قال ليستفزها:

www.elromancia.com

- يسرني ان اراك ترحبين بي في حرارة هذه المرة. هل كنت تحصين الساعات لحين وصولي؟ اين امك؟

فأجابه صوت لورنا آتياً من غرفة الاستقبال:

- يا لهذا الشاب اللطيف الذي يطلب التعرف الي!

فرفع موراي حاجبيه وقال:

- اتسمحين لي بالدخول؟

ودخل من دون ان ينتظر الجواب. فاستغربت ادريان لهفته الشديدة لملاقاة امها، فهو ليس خطيبها ولا يجب ان يتصرف على هذا الاساس.

قال وهو يقف في غرفة الاستقبال ينظر الى لورنا مبتسماً، وعيناه تتفحصانها وتحللان وتستنتجان:

- مساء الخير يا سيدة غارون.

ثقته الذاتية هذه ادهشت ادريان، وبدا كما لو كان معتاداً على دعوة نفسه الى صالونات الناس وكأن ذلك من حقه.

وقالت امها:

- عرفيني الى هذا الشاب الساحر يا ادريان.

فقالت في جمود:

- امي، اقدم لك موراي، وهذه امي يا موراي.

- السيد موراي؟

استوضحت لورنا برفع حاجبيها المزججين، وهي تمد اليه يدها البضة فيصافحها بقبضة قصيرة. ثم التفت الى ادريان بنظرة تحذير، فسارعت الى التصحيح مرتبكة:

- كلا، اقصد السيد موراي دينينغ.

وساندها هو بقوله:

- طلبت من ادريان ان تناديني موراي من باب المودة، فأنا لست مخدومها بل شقيقه فقط.

فطرفت اهدابها وقالت:

- اذن، هل تسمح لي ايضاً بأن اخاطبك باسمك الأول؟

- ولم لا؟

- اسمي لورنا يا موراي.

انزلت قدميها الى الارض في رشاقة مدروسة، وقالت وهي تعبث بالوسادة الى جانبها:

- انت اول شاب تدعوه الى بيتنا، ولا ادري لماذا يصعب عليها اجتذاب الشبان.

فاحمر وجه الفتاة وقالت:

- امي، موراي ليس...

فقال موراي بسرعة وهو يتفحص ادريان في تفصيل دقيق:

- استغرب كلامك هذا، فابنتك تملك كل ما يطلب الرجل وجوده في شريكة الحياة، ولا ريب ان رجلاً محظوظاً سيأتي يوماً، ويخطفها منك.

- اتعتقد ذلك؟ اوه... ارجو ان تكون مخطئاً، اذ ماذا عساي ان افعل بدونها؟

واضافت لورنا قائلة:

- ناوليني وسادة ثانية يا حبيبتي لاريح رأسي عليها... هناك نوبة صداع على الطريق، استشعر اقترابها في عظامي.

فسارعت ادريان الى تلبية الطلب باهتمام، وراحت تبحث عن وسادة مناسبة. وهنا نهض موراي، ورفع قدمي لورنا بعناية فائقة حتى عادت الى استلقائها الاقفي السابق، وسألها باسماً:

- هل انت مرتاحة الآن؟

فاجابت بصوت كهديل الحمام:

- ما اروع ان يتسابق شخصان الى خدمتي!

ضحك موراي فخالته ادريان يسخر لكنها لم تجد في وجهه ما يدل على التهكم. وفي موقف كهذا، ملىء بالتظاهر والانفعال، توقعت ان تسيطر عليه روح السخرية، لكنه كان اكبر السحر والتفهم، وكم ادهشها هذا التبدل في تصرفه.

سمعت فليك يعوي وراء الباب الخلفي. لا ريب انه كف عن اللعب في الحديقة لدى سماعه صوت موراي. فتحت له الباب فدخل المطبخ ثم عبر البهو ركضاً وطرح نفسه على قدمي الضيف. رحب به موراي في حرارة وقال له:

- حان الوقت لتنطلق يا فليك.

ثم قال للورنا:

ـ ابنتك ستأخذني في نزهة. انا غريب عن المنطقة نسبياً، ولذا ستعرفني الى اماكن ارتيادها المفضلة.

فاجابت الأم:

ـ ابنتي تخرج دائماً بمفردها. هي وحدانية بطبعها، وحتى في طفولتها كانت تفضل رفقة نفسها على رفقة الآخرين.

فقال موراي متظاهراً بالانزعاج:

ـ ما اقل ذوقي! ربما انا انطفل على حبها للعزلة، وهي لشدة تهذيبها لم تصارحني بعدم رغبتها في رفقتي.

ـ بل اني ارغب فيها حتماً.

اجابته في سرعة وحدة، ولم تدرك خطأها الا حين رأت ابتسامته الساخرة! انتابها ضيق وخجل لوقوعها في شرك الاحراج الذي تقصد ايقاعها فيه. قالت لورنا بصوت متهدج وهما يخرجان:

ـ لا تتأخر عن زيارة ثانية يا موراي!

فوعدها الشاب بان يفعل.

سارا في صمت على الطريق. وانتظرت قليلاً ثم سألت:

ـ هل اخبرت كليفورد انك ستأتي معي؟

ـ اخبرته فعارض مجيئي، فأجبته انه اذا كان يتضايق من ذلك، فعليه ان يرافقك بنفسه. هل اتخذك مرة الى اي مكان؟

فردت بشكل غير مباشر:

ـ خطوبتنا ما تمت الا مؤخراً.

ـ وما دخل الخطوبة الطويلة او القصيرة في هذا؟ دعينا نواجه الواقع العصري حيث صار الناس المخطوبون ينعمون بحرية اكبر. انا وانت، لسنا خطيبين، ومع ذلك هذه ثاني مرة نخرج معاً.

ـ لكنه اخبرني انه لا يقوى على السير الطويل بسبب اعتلال قلبه.

فرد حانقاً:

ـ قلبه ليس معتلاً! متى ستصدقين ذلك بحق السماء؟

ران عليهما صمت طويل... وبلغا القنطرة وتخطياها، بدون ان يساعدها هذه المرة، ثم سارا جنباً الى جنب حتى وصلا فسحة مكشوفة.

فقال بلهجة حازمة جعلت قلبها يقفز توجساً:

ـ لنجلس قليلاً. اريد التحدث معك.

جلس على العشب مبتسماً وربت على مكان مجاور فجلست بدورها. تلامست كتفاهما وازعجها هذا التلامس لسبب ما، لكنه بدا غافلاً عن ذلك، وطفق ينتف العشب شارداً. احاطت ساقيها بذراعيها واخذت تؤرجحهما قليلاً كطفلة، فيما ربض قلبك قربهما.

كانت الشمس تهبط نحو الافق وهي تتسلل من زرقة سماء فيروزية الى سرير ذهبي محمر. كان الغروب مشعاً بالألوان واخذت ادريان تحدق مسحورة. وقال فجأة، فحطم بسؤاله سرحانها الحالم:

ـ الا تقدر امك ان تجد عملاً؟

فعاد ذهنها الى الأرض بقوة، كتفاحة تسقط قبل الأوان من على شجرة. اجابت مندهشة:

ـ امي... تشتغل؟

فقال في حزم كما لو كان طبيباً يشخص مرضاً:

ـ لقد وصلت الى الاستنتاج بأن الملل هو علتها الوحيدة ولن ينقذها منه سوى العمل.

ثم تناول حفنة عشب. وتفحصها كما لو كانت تحت مجهر. وسأل:

ـ لما مات والدك، كيف واجهت واقع الوفاة؟

عجبت لعمق اهتمامه، واجابت:

ـ اصيبت وفتها بانهيار اذ توفي فجأة بالسكتة القلبية. كان في ستيناته... اكبر منها بكثير كما سبق واخبرتك. كان راغباً في التقاعد قبل موته بسنوات لكنها عارضته كي لا يخف المدخول. وهكذا استمر يعمل ليرضيها وتركته يشقى من دون ان تحرك ساكناً. كانت تعتمد عليه في كل شيء.

فرفع موراي حاجبيه ولم يعلق، وقال بعد صمت قصير:

ـ في اثناء الحديث، اطرت امك الحسنات المتأتية عن وجود رجل قوي في البيت. ولدى وفاة والدك، اضطررت أنت بحكم الظروف ان تأخذي مكانه، لذا صرت الآن تمثلين العنصر «القوي» في حياتها، ومن الطبيعي ان تنفر من فكرة تركك اياها في اي وقت من الأوقات.

فأجابت ادريان تشرح وجهة نظرها وهي تحاول اقناع نفسها بصواب كلامها:

ـ لكني لن اضطر لتركها عندما اتزوج كليفورد، حيث ان سكني قريباً منها سيتيح لي ان اساعدها يومياً.

ارتكز على مرفقه وقال محدقاً فيها:

ـ يا اخي! اهذا هو الدور الذي رسمته لنفسك... دور الوصيفة والخادمة والرفيقة المساعدة، من دون اجر؟ هل انت مستعدة لقضاء بقية حياتك خاضعة مستسلمة ومشطورة الى نصفين، تقسمين حبك وولاءك بين زوج متمارض وام متمارضة على غراره؟

فهزت كتفيها تتظاهر بعدم الاكتراث، واجابت وهي تأمل ان ينخدع بتظاهرها البارع:

ـ اني اتقبل هذه الحياة، وسأدخلها مفتوحة العينين. فانا راضية بها تماماً.

ـ انك على مر السنين، ومن دون ان تشعري، تطبعت على طلبات امك المتواصلة والنزقة، فهان عليك ان تتقبلي طباع خطيبك المماثلة، بلا تبصر او تفكير... ان شكاسة اخي وخوفه على صحته ورغبته المستمرة في ان يخدمه الآخرون، لا ترين فيها شيئاً خارجاً عن المألوف لأن امك تتصرف ايضاً هكذا، وبالتالي تتقبلينه بلا اعتراض كشريك لحياتك في المستقبل. ولا تهابين ما سيعنيه هذا الزواج، الا وهو تكريس حياتك لخدمته.

واضاف بصوت شرس:

ـ انت لم تقبلي به زوجاً بسبب الحب بل بدافع العادة.

تململت وساورها خوف من الصورة التي كان يرسمها... كانت واقعية ودقيقة التفاصيل الى حد كبير، بل كانت لقطة فوتوغرافية اكثر منها لوحة ابتدعها خيال فنان.

واستفسر بلطف وعمق كما لو كان جراحاً يجري عملية:

ـ اترغبين في انجاب الاطفال؟

ـ بالطبع اريد اطفالاً.

ـ اذن، حظك سيء، فقد اقسم كليفورد مرة الا ينجب، وبرر ذلك بانه لا يطيق ضجيج الصغار. الم يخبرك...؟ ان بعض الرجال يخلون تماماً

من الغريزة الأبوية، كما تعلمين.

فعادت تحيط ساقيها بذراعيها، والصقت ذقنها بركبتها. كانت متوترة وقلقة، تحاول جاهدة ان تهرب مما كان يقول.

كلماته كانت تعذبها كدبور يطن في غرفة مقفلة مهدداً باللسع، وادركت الآن سبب خوفها الغريزي حين قال انه يبغي التحدث معها. وسألته:

ـ امن الضروري ان تستمر في الحديث؟

فأجاب بلطف:

ـ اريدك ان تواجهي الحقيقة يا ادريان. اخي رجل ضعيف، وهو ما ابتغى الزواج منك الا لأنك شابة نشيطة. سيتمكن من مراقبتك وانت تقومين بالاشياء التي لم يسمح لنفسه ابداً بان يقوم بها، اي انه سيعيش من خلالك. هو من الناحية الذهنية متفوق، ويسبق عمره بعشر سنوات... هل تصغين الى ما اقول يا ادريان؟

لم تجبه اذ خشيت الا يخرج صوتها من حلقها المختنق.

وتابع موراي ملحاً:

ـ اذا رزقت طفلاً في يوم، فقد يستطيع كليفورد ان يشاركك انجابه لكنه لن يكون اباً له يشاركك رعايته وتربيته.

استلقى على ظهره مسنداً رأسه على يديه، ثم اغمض عينيه ومضى الى القول:

ـ على كل، بامكاني ان اؤكد لك شيئاً هو انكما ستنامان في غرفتين منفصلتين وليس فقط على سريرين منفصلين. زواجكما لن يكون حقيقياً.

ـ هل لك ان تصمت؟

هتفت بعدما عجزت عن كبح غضبها، وتابعت:

ـ لماذا تتحدث الي هكذا؟ لتنال ثأراً جديداً من اخيك؟ لتؤلمني وتجرحني كما قلت لي قبل ايام؟ ام لتشقيني حتى قبل ان اتزوجه؟

فأجاب بصراحة:

ـ بل لأن توقع الشر خير من وقوعه، يا حلوتي.

استدار رأسها بسرعة الرصاصة، وحدقت في جسمه المسترخي... كلمة «حلوتي»، وطريقة حديثه الشخصية جداً، وقربه منها، اثارتها كلها الى حد كبير... فقالت بما يشبه الصراخ:

- لا تسمني هكذا!!

فاستلقى على جنبه وقال ناظراً اليها بتكاسل:

- ولم لا؟ هل هذه الكلمة تثيرك، تزعجك، تحرك فيك مشاعر معينة هي في الواقع طبيعية تماماً لكنها تصدمك بسبب تأثيرها عليك؟ مشاعر لم يحركها اخي ابداً لكونه يجهل احتياجات النساء؟ مشاعر تصيبك بالخيبة لأنها متى استيقظت فيك قد يصعب عليك ضبطها ولا تعرفين الى اي منحدر ستؤدي بك؟

فسألته وكأنها تتعلق بقشة:

- كيف تتحدث بهذه السلطة في موضوع لا تعلم عنه شيئاً؟ انت لست رجلاً متزوجاً.

صمت قليلاً ويدا انه يحاول ايجاد الرد المناسب. قطف عشبة وطفق يمزقها نتفاً صغيرة، واجاب:

- طالما رأيت عواقب زيجات كهذه في مجرى عملي، حيث كنت شاهداً على العديد من الاضطرابات النفسية والجسمية التي يوجدها عذاب الحرمان في النساء وفي الرجال كذلك.

اخذ يدها اليمنى في يده فلم تحاول سحبها، وتابع يقول:

- اصغي الي يا ادريان. الزواج لا يعني المشاركة في الأمور المادية فقط. بل يعني ان تهبي نفسك كلياً للرجل الذي تحبين. انه عملية حميمة...

فسحبت يدها من يده وغطت اذنيها بكفيها وهتفت:

- كفى! اتحسب اني لا اعرف ذلك؟

ارتدت كنزتها بعصبية ونهضت تسير بعيداً عنه، فتبعها فليك الذي كان يحوم حولها ملولاً، وبعد قليل لحق موراي بهما. شعرت بذراعه تحيط كتفيها، ومع ان لمسته جعلتها ترتجف بشراسة، الا انه لم يتزحزح، وقال:

- آسف لاضطراري الى ايلامك مجدداً يا ادريان. انما لم يسعني السكوت على ما قلته لئلا تقدمي على الزواج كالعمياء ومنّ دون ان تطلعي على الحقيقة.

- لا اعتقد انها الحقيقة، بل انك تكره كليفورد الى حد يجعلك تحاول اقصى جهدك لأن تسمم افكاري تجاهه.

فصمت لوقت طويل حتى اضطرت للنظر اليه. كان يقطب في تفكير

عميق، واخيراً قال:

- يؤسفني ان تتهميني زوراً، فليس صحيحاً اني ابغي الايقاع بينكما. ليتني استطيع اقناعك بأني اتكلم بموضوعية تامة.

صمتا طوال الطريق، وحين اقتربا من بيتها، سأل:

- هل اثر عليك حديثنا؟ هل جعلك تغيرين رأيك؟

فأجابته في عزم:

- هذا ما تريدني ان افعله كي تستطيع التبجح على كليفورد، وتسجل انتصاراً آخر! جوابي هو «لا»، وانا مصممة على موقفي اكثر من اي وقت مضى.

وبرغم عتمة الغسق رأت عينيه تقسوان، واجابها بفم متقلص:

- لا تختلفين ابداً عن بنات جنسك! دائماً تعطفن على المساكين مهما كان ذلك العطف طائشاً. الحق عليّ لأني لم اتذكر هذا.

اشاح عنها وسار مبتعداً، والغضب يواكب خطواته.

www.elromancia.com

٤ ـ الحقيقة في لحظة منيرة

لم يكن كليفورد قد تناول فطوره عندما وصلت ادريان الى عملها في الصباح التالي، وكان ما يزال في الفراش كعادته، وبادرها بالقول:

ـ السيدة ماسترز مصابة برشح يا عزيزتي. لم ادعها تقترب مني لئلا أعرض صحتي الضعيفة الى العدوى.

فأجابت على الفور:

ـ سآتي لك بالفطور، انما اخبرني ماذا تريد ان تأكل.

فعدّد لها اصناف الطعام التي يتناولها كل صباح واضاف:

ـ ابحثي جيدا في المطبخ تجدي كل شيء، لكن إياك ان تقتربي من السيدة ماسترز.

خالته يخشى عليها من العدوى فأثر فيها اهتمامه، لكنه سرعان ما خيب

ظنها حين اردف:

ـ لا أريدك ان تنقلي الي جراثيم الرشح.

كان كليفورد يدقق كثيرا في نوعية طعامه وطريقة تحضيره... كانت تعليماته طويلة ومفصلة الى حد كادت ادريان تتناول دفتر الاختزال!

دخل موراي المطبخ وهي تطهو الطعام، فهتف مستغرباً:

ـ ما الذي تفعلينه؟ لا تقولي انك بدأت تزاولين واجباتك الزوجية من الآن؟

فغمغمت باختصار لتسكته:

ـ السيدة ماسترز تشكو من الرشح.

ـ اعلم ذلك فقد رأيتها، لكن حالتها ليست بذلك السوء.

ـ قال كليفورد انه لا يريدها قربه خوفاً من العدوى.

فكتف ذراعيه وقال مسنداً كتفه الى الباب:

ـ وهكذا هرعت الخادمة المطيعة والخطيبة المخلصة الى تلبية أوامر سيدها العظيم لاعطائه ما يريد.

ثم ابتسم واضاف:

ـ لا تسيئي فهم قصدي.

فتجاهلت استفزازه وقالت:

ـ يجب ان يجد شخصاً يطعمه.

ـ الا يقدر... ان يطعم نفسه؟ الا يقوى على مغادرة ذلك السرير الذي يلتصق به كالتصاق الطفل بصدر أمه، ويقوم بعمل حقيقي مرة في حياته؟

تجاوبت بعنف هذه المرة، فابتسم متهكماً وهتف للكلب الذي نهض فوراً وذهب اليه:

ـ فليك! خلصني، احمني يا ولدي! انها تثور غضباً، وعلى وشك ان تهاجمني انتقاماً لكبريائها الجريحة!

ثم انحنى وهمس في اذن الكلب:

ـ ليتها تفعل كي اعتقلها ولا ادعها تفلت ابداً.

مد يديه ليأخذ الصينية عنها، فعارضته بادىء الامر ثم تركته يحملها وتبعته الى الطابق العلوي.

تذمر كليفورد من وضعية الوسائد، وطلب اليها مراراً ان ترفع هذه

www.elromancia.com

وتنزل تلك حتى استطاع الجلوس في راحة. ثم طالبها باخلاء المنضدة الى جوار السرير وتقريبها منه ليضع عليها الصينية.

ارتكز موراي الى خزانة الثياب وراح يراقب المشهد بابتسامة ساخرة، وعاد كليفورد يطلب اليها ان تقفل النافذة لمنع مجرى الهواء وقال مفسراً:

- لا يجب ان أبرد لئلا اصاب بأذى غير قابل للعلاج.

نظر الى اخيه متحدياً فاكتفى موراي بالابتسام... واخيراً استتب كليفورد وصار مستعداً لتناول الطعام. فسألته ادريان:

- هل اتركك الآن؟

- اذا سمحت يا عزيزتي، فخلال الطعام يحلو لي التفكير على انفراد.

- يا اله الكائنات!

سمعت موراي يغمغم مشمئزاً وهو يلحقها خارجاً، ثم اردف:

- انه صورة طبق الاصل عن امك، مع احترامي لها.

تبعها على الدرج وقال:

- لا بد ان رفقته تشعرك وكأنك في بيتك تماماً! لقد اصبت حين قلت لك انك متكيفة مع الوضع تماما.

في المساء ذهبت في نزهتها المعتادة مع كلبها، وقبل خروجها استوقفتها لورنا قائلة:

- اخبرني جوان سميذرز هذا الصباح ان هناك اشاعة قوية عن وجود رجل مريب في القرية، وقد شوهد وهو يتسكع قرب المدرسة وفي الحقول.

فاجابت أدريان تطمئنها:

- ما دام فليك معي فلا تخافي يا أمي.

- أوه... لست قلقة عليك انت حيث باستطاعتك حماية نفسك، بل اني خائفة على نفسي لوجودي هنا بمفردي. لا تتأخري كثيرا يا ادريان، أرجوك.

ابتسمت الفتاة لنفسها وهي تعبر الدرب... ما كان يجب ان تفترض ان امها قلقة عليها، ففي حياة لورنا غارون، ليس هناك سوى لورنا ومصالح لورنا في الدرجة الاولى. هذا درس تعلمته ادريان منذ الطفولة، وكما قال موراي، لقد تكيف تفكيرها مع هذا الواقع والى حد جعلها تتقبل بلا معارضة ان تحتل المكانة الثانية في حياة كليفورد ايضاً.

فكرت في موراي وهي تتمشى بين الحقول. كم ترغب وتتمنى لو كان الآن معها، يحدثها، يضحكها او يزعجها لا فرق، بل هي ترحب حتى باستفزازاته. لكنها ذكرت نفسها في حزم بأنه ليس لها. فعاجلاً، مهما كان نوعه، يختلف عن عالمها كاختلاف جو القمر عن جو الارض. انه حين يرحل، ولا بد ان يرحل قريبا، سيأخذ مرحه وقوته وحيويته... وسرت فيها همسة، اخبرتها كرقرقة جدول، انه سيأخذ معه جزءاً منها ايضاً. لكنها ازاحت هذا الخاطر جانباً، كطفل يشيح عن طعام لا يريده.

لم تره ثانية لبضعة ايام. كانت تعلم انه ما زال في البيت اذ سمعته مراراً يحدث السيدة ماسترز ويداعب فليك في المطبخ. تساءلت عما اذا كان يتعمد الابتعاد عن طريقها، لكنها رفضت ان تتفاءل حتى بهذه الفكرة، فهو كان في الواقع غير مكترث بها ويشعر بالتأني انها لا تستأهل منه اضاعة وقته في الاهتمام بها.

وذات صباح، اخذت فليك الى المضخ ثم صعدت الى غرفة كليفورد. سمعت اصواتاً في الداخل، وفيما هي تهم بطرق الباب تناهى اليها صوت موراي يقول:

- بحق السماء يا رجل، تودد اليها احياناً واسمعها كلمات حب! هذه الفتاة ستصبح زوجتك، ولا يمكنك الاستمرار في معاملتها كمستخدمة حين ترسلها الى بيتها فور انتهاء العمل. هناك حقيقة يجب ان تعرفها، هي ان عواطفها ما تزال نائمة كعواطفك، ولذا لا تتوقع منها اية «مساعدة» على حد قولك، واذا كنت تريد هذا النوع من «المساعدة» فتزوج امرأة ارملة.

تراجعت على الدرج فلم تسمع جواب كليفورد، لكنها سمعت موراي يرد بصوت مرتفع:

- ماذا؟ تقول انها باردة؟ كم اتمنى ان اثبت لك عكس ذلك. حاول ان تعانقها بمحبة لتمتحن تجاوبها وتجاوبك انت ايضاً.

بدا الأمر كما لو كان كليفورد يطلب نصيحة اخيه، ويتلقى امثولة لم يتوقعها. وعاد صوت موراي يرتفع بقسوة:

- اذا كنت تعتقد ذلك يا اخي... يا أخي، اذا كنت تشك في انه لا يحق لك الزواج من اية امرأة، وبخاصة من هذه الفتاة الجذابة...

فرّت هاربة على الدرج ومنه الى المضخ... داعبت فليك ثم حملته

والصقته بخدها الملتهب، وقالت تفسر مجيئها للسيدة ماسترز:

ـ السيد دينينغ مشغول بالتحدث الى اخيه.

انفتح باب في الطابق العلوي فقالت المرأة:

ـ ها هما قد انتهيا. يمكنك الآن ان تصعدي يا عزيزتي.

ارتقت الدرج في بطء وهي ترجو ان يكون موراي قد دخل غرفته. لكنه كان يقف على الدرج ينتظرها، وسألها من دون ان يبتسم لها مرحبا:

ـ متى وصلت؟

تحاشت النظر الى عينيه وهي تجيب:

ـ منذ بعض الوقت. هل ادخل عليه؟

ـ ولماذا تسألينني؟ انا لست فيما عليه.

مرارة صوته جعلتها تنظر اليه فرأت الغضب في عينيه.

دخلت على كليفورد، فسارع الى جذبها اليه ومعانقتها فما شعرت بأي تجاوب. لكنه بدا راضيا عن نفسه، وقال مشيرا الى المقعد المجاور للسرير:

ـ اجلسي يا عزيزتي. اني اشعر بتحسن كبير هذا الصباح، وسأنهض عما قليل.

كان ما يزال يمسك يدها باحدى يديه فتركتها حيث هي وقالت:

ـ يسرني هذا يا كليفورد. هل ترغب في بعض الاملاء قبل ان تنهض؟

فرد مبتسماً:

ـ اجل، سأفعل، فذهني اليوم صاف بسبب تأثيرك علي.

ابتسمت في وهن وشعرت بشيء من الغثيان. ودت لو تجيبه، انه تأثير اخيك عليك وليس تأثيري... اخوك الذي عزز ثقتك الذاتية فزودك بشجاعة زائفة وارشدك كيف يجب ان تعاملني... لكن الشجاعة هذه لن تدوم طويلا، فلن يمضي يوم او يومان حتى يكون نسي النصيحة، ويعود الى موراي يطلب النجدة مجدداً ليعطيه حقنة اخرى من الاقدام او درسا جديدا في معاملة النساء!

أكبت على العمل حتى العصر، وسألها كليفورد قبيل ذهابها:

ـ هل انت مشغولة هذا المساء؟

ـ لا، سأذهب فقط في نزهتي المعتادة.

فامسكها من ذراعها وقال وعيناه تتوسلان اليها:

ـ هل تعدلين عن النزهة لتقضي معي السهرة هنا يا عزيزتي؟

لو كان موراي الذي يتكلم لطلب ان يرافقها في نزهتها وليس ان يبقيا داخل البيت... احست ضيقا لم تدر له سببا، واجابت:

ـ سآتي بكل تأكيد. وسيسرني ذلك.

حين عادت مساء كان موراي في غرفة الاستقبال ايضاً، ونهض لدى دخولها. ولما اخذت مكانها الى جوار كليفورد، اسند موراي مرفقيه على رف الموقد ورمقهما في سخرية. احضها كليفورد بذراعه كما لو كان يحاول اثبات شيء لشخص ما، فاقتربت منه طائعة، فيما اتسعت ابتسامة موراي، وغمغم:

ـ يجب ان انسحب من الطريق لئلا يقال اني تطفلت على خطيبين متحابين.

ثم سأل ادريان بحدة:

ـ اين فليك؟

ـ مع السيدة ماسترز. لماذا تريده؟

ـ ساخذه لتتمشى.

لم يكن سؤالا بل تصريحا غير قابل للرفض، وخرج يهتف للكلب.

اضطرت ادريان لان تجلس قرب خطيبها بلا حراك، وهي تصغي الى عواء كلبها الذي جن فرحا بمشروع التنزه مع شخص غريب تقريبا، ومع ذلك بدا وكأنه يدفع بها الى المرتبة الثانية في قلب فليك... حتى بالنسبة للكلب، ما عادت تحتل المرتبة الاولى...

ضيقها من هذا الرجل الذي بدا عاكفا على تمزيق حياتها، تعاظم في نفسها الى حد عدم الاحتمال. حين يعود، ستطلب منه بعبارات صريحة ان يتركها وخطيبها يعيشان حياتهما كما يحلو لهما ومن دون أي تدخل منه.

لكنها لم تره تلك الليلة، اذ دخل ولا شك من الباب الخلفي وصعد الى غرفته راساً بعد ان ترك الكلب مع السيدة ماسترز.

لم تر موراي في اليوم التالي. في الكوخ، وفي اثناء العمل، كانت تتوقف بين الفينة والفينة ترهف اذنيها، فتتخيل انها تسمع وقع قدميه الا انه لم يات... في الصباح جاءتها السيدة ماسترز بالقهوة وفي العصر بالشاي. وبدأت تتوق الى مراه، ولا تشترط حتى ان تسمع صوته او تلمس كفه...

عنفت نفسها على رعونتها هذه، فهي مخطوبة الى كليفورد وليس اليه.

وفي المساء راحت تتنزه، واخذت تؤرجح مقود فليك على اصابعها وهي تمر بالازهار البرية المتفتحة في شجيرات السياج. تنفست عبير الصيف العابق حولها، فانساقت خلف حلم لذيذ على ايقاع زقزقة الطيور. وحين عبرت المنعطف رأت رجلا ينتظر في نهاية الدرب. تسمرت في مكانها وخيل اليها ان المشهد جزء من الحلم، اذ ما قدرت ان تصدق حقيقة وجوده هناك.

التقط الكلب رائحته فركض صوبه مبعثراً التراب والحصى اذ كانت مخالبه تنزلق الى خلف وجسمه يندفع الى الامام لشدة خفته.

انحنى موراي يداعبه ويغمغم:

ـ يا لك من كرة نارية يا فليك.

ثم استوى واقفا وقال لها في منتهى البساطة:

ـ مرحبا.

أخذ المقود من اصابعها، فسألته وهي تقنع سرورها بانزعاج مفتعل:

ـ كيف عرفت بأني ساجي؟

ـ احسست بحيثك في عظامي، كما تقول امك.

ابتسم وبدا سعيدا، كذلك بدت العلاقات بينهما متوازنة. قال:

ـ سنذهب الى الحديقة العامة بدلا من الحقول، واعتقد ان المقهى لم يقفل ابوابه بعد، اليس كذلك؟

ـ اجل، ففي هذا الوقت من السنة يظل مفتوحاً حتى حلول الظلام لكن...

بدأت تعترض لتثبت له انه لا يستطيع فرض ارادته عليها:

ـ اني اذهب دائما الى الحقول، فلماذا أغير الليلة هذه العادة؟ لنفترض اني لا اريد الذهاب الى الحديقة؟

لكنه تجاوز اعتراضاتها الواهية بغروره المعهود وقال:

ـ سنذهب بغض النظر عن رغبتك... هيا بنا.

أمسك يدها، وعبثاً حاولت تخليص اصابعها من قبضته. سألته:

ـ لماذا تريد الخروج معي؟

ـ انا في اجازة، وشعرت بحاجة الى رفقة امرأة، حتى لو كانت فقط

زوجة أخي المقبلة... اريد على كل حال، ان اتعرف اليها اكثر.

جلسا في المقهى الى طاولة هادئة، وربض فليك تحتها فيما كانا يشربان الشاي. وعلقت ادريان قائلة:

ـ اذا كنت تنفر من اخيك الى الحد الذي تقول، فلماذا تقضي اجازتك معه؟

فضحك واجاب:

ـ هذا لعمري سؤال ذكي! ولكني لا اقضيها معه عادة، بل اسافر الى الخارج او ارتاد الشواطىء المنعزلة في شمال انجلترا، او في غرب اسكتلندا. هذه المرة جئت هنا لاتعرف الى المرأة التي اعلن اخي فجأة انه سيتزوجها.

ـ اتقصد انك جئت لتعاينني كما يعاينون الماشية؟

ـ انا لست جراحاً بيطرياً ولا انت حيوان بالمعنى الحقيقي للكلمة! فلنقل بطريقة انسب، اني أردت ان امتحنك.

ـ وهل نجحت في الامتحان؟

فابتسم في غموض واجاب:

ـ انا لا ابوح ابدا بنتائج فحصي، فذلك ينافي آداب المهنة، وأي... طبيب بيطري يعطيك نفس الجواب.

غطى يدها بيده عبر الطاولة وتابع:

ـ لكني استطيع القول اني كنت مصمما ـ في حال عدم استحساني لاختيار اخي ـ على مصارحته بهذه الحقيقة بكل وضوح، وعلى العودة سريعاً الى حيث كنت. اما سبب بقائي هنا لغاية الآن ان يعطيك فكرة معينة حول ملاحظاتي واستنتاجاتي الخاصة بك.

ـ بكلمات اخرى، انت تودني؟

نظر اليها ملياً، واجاب:

ـ لولا معرفتي بطبيعتك لحسبتك تسعين الى الاطراء.

ازاح يده عن يدها وتابع:

ـ لنقل اني لا انفر منك.

توردت وجنتاها كدراً من عبارته الجافة، ورمقها هو بابتسامة كسولة. ادار رأسه، وحدق عبر نافذة المقهى الى الحديقة في الخارج، وبدت

www.elromancia.com

افكاره تنساق بعيداً وحين تكلم ثانية، قال في جدية:

- قد تتساءلين عن الحب الأخوي المفقود بيني وبين كليفورد.

لم ينتظر جوابها، وتابع يفسر:

- كان في السابعة من عمره عندما ولدت انا، وطوال ذلك الوقت كان قرة عيون والديه. ولما جئت الدنيا، تحولت عواطف ابويّ، كما الحال مع سائر الآباء والامهات، واصبحت انا مصدر فخرهما وبهجتهما.

توقف قليلا فسألته بصوت لطيف:

- وهنا شعر كليفورد بالغيرة، اليس كذلك؟

فقطب وغامت عيناه بالألم وهو يجيب:

- نعم، غار مني وصار يكرهني على مر السنين. كان يلفق عني قصصا وافعالا كاذبة فأعاقب عليها زوراً وبهتاناً. كنت وقتها صغيرا، فلم ادرك انه كان يفعل ذلك ليستعيد اهتمام ابويه به، فكرهته لأجل ذلك. ثم بدأ يتمارض، وكلما اشتد قلق والدي عليه كلما تمارض اكثر... هل يشعرك حديثي بالملل؟

هزت رأسها نفيا ورجته ان يستمر. فقال:

- كان يشكو لهما آلاما وهمية في كل جسمه، ويبدو انه قرر في النهاية تركيز تلك الاوجاع في صدره حيث يوجد قلبه. عرضوه على رتل من الاخصائيين، وكان كليفورد يستمتع بكل دقيقة من تلك الفحوصات! ما كان ليصدق تأكيد الاطباء بأنه سليم القلب. في الأخير اقنع نفسه بأنه مريض بالقلب واقنع والدي معه، فنسيا أمري في غمرة قلقهما عليه، وهكذا ربح هو «المعركة».

نظر في عينيها وسأل:

- هل تصدقين الآن حين اقول ان قلبه سليم كقلبي وقلبك؟ وان القصة بكاملها هي من نسج خياله، وانه ما ينفك يستغل هذا التمارض ليحظى بالاهتمام «والحب»؟

رأى في عينيها شكا، فقال في مرارة:

- يبدو انك ما اقتنعت بعد... انه التاريخ يعيد نفسه.

- لا فائدة يا موراي. لك ان تقول ما تشاء، الا انك لن تجعلني أغير رأيي.

- لن اغير لك رأيك؟ انتظري... فأنا ما انتهيت منك بعد.

سألها بعد قليل ان كانت تريد فنجاناً آخر من الشاي فهزت رأسها، واستفسرت:

- اين تعيش يا موراي؟

- في شقة قريبة من مكان عملي، انها تبعد مسافة ساعتين او ثلاث بالقطار. يجب ان تأتي يوما لتريها.

خفق قلبها للدعوة مع انه وجهها اليها بلا اهتمام. وتجرأت على سؤال آخر:

- هل لك... أصدقاء كثر؟

- اصدقائي قليلون. لماذا تسألين؟ هل عدت الى المناورة لتكتشفي اذا كان بعضهم نساء؟

هزت رأسها بعنف، فابتسم غير مصدق نفيها وقال:

- حان وقت العودة. هيا بنا يا فليك.

فتمطى الكلب ونهض يسير نحو الباب ثم مضى يتهادى امامهما طوال الطريق. كان الفضاء مظلما حين وصلا مفرق الدرب، فأخذ يتسكع حولهما منتظرا!

أراح موراي ذراعيه على كتفيها وقربها منه. تصلبت وتمنت لو تستطيع رؤية التعبير على وجهه، انما ما كان هناك ضوء ولا حتى شعاع قمر ينير المكان. قال في هدوء وبلا عاطفة:

- ساعانقك يا ادريان كما لم يعانقك أحي من قبل. فأرخي اصابعك وضعي ذراعيك حول عنقي.

ترددت بادىء الامر، ثم أحست نفسها تستجيب له بدفء لم تتوقعه.

ولما القت رأسها في استرخاء على كتفه قال بلهجة انتصار واضح:

- كنت عارفا بأن الامر سيكون هكذا!

كلماته هذه وزهوه الغريب بنجاحه، تسربا الى ذهنها المشوش ومعهما الحقيقة! فتهاوى ابتهاجها عند قدميها ومات ميتة أليمة، وتذكرت ما قاله لكليفورد في الغرفة المقفلة:

- كم اتمنى ان اثبت لك انها ليست باردة.

شعرت باختناق، وقالت والدموع تبح صوتها:

www.elromancia.com

ـ اذن كنت تقوم بتجربة لتثبت لنفسك، ومن ثم لأخيك بانك كنت مصيبا! لقد عرفت الآن أني لست مخلوقة باردة ومجردة من العواطف والاحساس. هيا، اذهب الى اخيك وقل له انك كنت على صواب.

فسأل بشراسة:

ـ لقد سمعت حديثنا اذن؟

ـ اجل، سمعت من دون تعمد... لكنك تعمدت الخروج معي الليلة كي تمتحن تجاوبي وكما نصحت اخاك بأن يفعل! الآن، وقد امتحنته واخذت قياسه، بوسعك ان تعود اليه منتصرا وتتبجح امامه بأنك نجحت في ما عجز هو عن فعله طوال الوقت... لقد اكملت بحثك واثمرت تجربتك!

فصرخ بها:

ـ هل لك ان تصمتي؟

ثم حاول تقريبها منه فارتدت الى الوراء وهتفت بمرارة:

ـ هل كنت ناويا على تعليمي الحب كي اقدم لخطيبي «المساعدة» التي قلت انه في حاجة اليها؟

وضع يده على فمها ليسكتها بيد انها لوت رأسها كلبؤة ثائرة وتابعت:

ـ او ربما كنت تحاول إيقاعي في حبك لتسطر عليه انتصارا آخر حيث تحرمه بضربة واحدة من خطيبته، وتنتقم منه لكل تلك السنوات التعيسة التي تزعم انها عذبتك في حداثتك؟

كانت تبكي بحرقة، لأنها ادركت الآن ان قلبها قد تحطم. فهي تحب هذا الرجل كما لا يمكنها ابداً ان تحب أخاه الذي ستتزوجه... وهمست اخيرا بصوت مرتجف:

ـ لقد فعلت اسوأ شيء في حياتك لكنك لم تنتصر، بل خسرت هذه المعركة بالذات، لأني ما زلت مصممة على زواجي من كليفورد. انه يحتاجني وانا واثقة من ذلك، ولذا لا يسعني ان أخذله.

استدارت لتذهب، فهتف اسمها وحاول ايقافها لكنها ازاحت يده بعيداً وركضت على الدرب الى بيتها، والكلب يعدو خلفها.

٥ ـ مع التيار

أحست رهبة لقائه في الصباح التالي، انما لم تقدر ان تتحاشى رؤيته بسبب الوضع الجديد الذي كان ينتظرها. فحين دخلت المطبخ، قالت لها السيدة ماستزر:

ـ صحة السيد دينينغ ليست على ما يرام يا عزيزتي.

ماذا حدث الآن؟ تساءلت وهي تصعد الدرج... هل اعتل قلبه حقيقة هذه المرة؟

طرقت باب كليفورد وفتحته فوجدت موراي في الغرفة. كان يقبض على رسغ كليفورد الا انه ارخى يد أخيه عندما رآها. كان موراي يحمل في يده الأخرى ميزان حرارة ويهزه ليهبط الزئبق، وكانت عيناه باردتين حين التقتا عينيها للحظة خاطفة، وقال:

www.elromancia.com

- أصر خطيبك على ان أقيس حرارته. انه لا يكاد يعطس حتى يمد يده الى الميزان.

فغمغم كليفورد وهو يريح رأسه على الوسائد:

- وماذا يقول الميزان هذه المرة؟

فأجاب موراي ببساطة:

- حرارتك مرتفعة قليلا بسبب الرشح الذي التقطته على الأرجح من السيدة ماسترز.

فتأوه كليفورد وسأل وهو يلصق خده بالوسادة:

- ألا يمكنك ان تعطيني شيئاً لتخفيض الحرارة؟

واستفسرت ادريان من موراي قائلة:

- أأنت متأكد من ان الأمر مجرد رشح؟ كيف تعرف ذلك ما دمت لست طبيباً؟ قد تكون الحرارة بداية مرض اسوأ.

فرمقها باحتقار واجاب:

- يا الهي! كم اكره ان اكون طبيبك عندما تنجبين اطفالا يصابون بأمراض الطفولة، واضطر الى معالجتك مع أطفالك لأنك ستكونين في حالة عصبية سيئة.

تجاهلته واستدارت الى خطيبها تقول:

- هل تريدني ان استدعي الطبيب يا كليفورد؟ اخبرني رقم هاتفه...

فقاطعها موراي والكلمات تخرج من بين اسنانه:

- لا، لن تستدعي طبيباً. انه يشكو مجرد رشح، فكفي عن القلق بحق السماء! حبيبك لن يموت بين ذراعيك من رشح عادي.

تجاهلته للمرة الثانية وسألت خطيبها:

- هل آتي لك بشيء يا كليفورد، أتحب ان تشرب شيئاً ساخنا؟

فأخذ بيدها وقال:

- شكرا لكل هذا العطف ياعزيزتي.

انحنت لتمسح العرق عن جبينه، فأبعدها قائلا:

- لا، لا اريدك ان تلتقطي العدوى.

فقال صوت خلفها بازدراء:

- بالطبع لا يريد ذلك، لأنك اذا مرضت فلن يجد من يخدمه ويدلله بهذا الهوس، واذ ذاك ستحل به مصيبة أكبر.

استدارت بعنف وقالت وعيناها تتوهجان غضباً:

- هل لك ان تلتزم شؤونك الخاصة؟

استدارت صوب الدرج شامخة الرأس، فامسك بكتفيها وجعلها تواجهه ثم طقطق بسبابته وابهامه وقال:

- بعد الذي جرى ليلة امس، ما علي الا ان افعل هكذا حتى تأتي بلا تردد ولا إحجام.

هتفت:

- اوه، دعني وشأني!

وركضت تهبط الدرج.

رجعت بعد الظهر وجلست في غرفة الاستقبال تراجع النص الذي طبعته في اليوم السابق. كان موراي في غرفته وكليفورد نائماً.

رن الهاتف فهرعت ترد عليه خشية ان يوقظ رنينه كليفورد. كان المتحدث امرأة، وسألت:

- هل يمكنني التحدث الى البروفيسور دينينغ، من فضلك؟

فتنفست ادريان في بعمق وقالت:

- أتقصدين السيد كليفورد دينينغ أم...

- بل أقصد البروفيسور دينينغ، الدكتور موراي دينينغ. أعتقد انه موجود على هذا العنوان.

كادت السماعة تسقط من يدها، لكنها تمالكت صوتها، وسألت بلهجة السكرتيرة الدقيقة:

- من المتكلم من فضلك؟

- أعلميه ان غريتل ستيل تطلبه، هلا فعلت ذلك؟

صعدت الدرج بخطى ثقيلة وطرقت باب غرفة موراي، ففتحه وقال:

- نعم؟

فسألته:

- بروفيسور دينينغ؟

- أجل، انا هو.

- هناك من يريدك على الهاتف، سيدة اسمها غريتل ستيل.

www.elromancia.com

شكرها وقد شمت عيناه، وهبط الدرج قبل ان تجد وقتا للتنفس.

وسمعته يقول وهي تنزل السلم بدورها:

ـ هذا موراي... غريتل يا عزيزتي. كم يسرني ان اسمع صوتك! متى رجعت؟

مرت به ادريان في هدوء ودخلت غرفة الاستقبال لتبعد صوته عنها. اذن هذه هي صديقته الخفية، المرأة التي كان يتجنب ذكرها. كانت غائبة والآن عادت من السفر. صوتها دل على انها دمثة وشابة، وما كان هناك ادنى شك في ان موراي يعزها كثيرا. استندت ادريان الى ظهر المقعد واغمضت عينيها. كانت تبكي في داخلها وتذرف دموع اليأس.

اذن هو رجل اكاديمي عالي المستوى من خارج عالمها، يعيش حياة مختلفة تماما عن حياتها، ويخالط اصدقاء على مستواه الفكري ذاته. كم هو يضحك الآن من خطيبة اخيه الجاهلة، العديمة الثقافة!

وسمعته يقول لصديقته:

ـ متى اراك؟ هل لنا ان نلتقي في منتصف الطريق؟ احجزي الليلة غرفة في مكان ما فلعلني...

اقفل الخط اخيرا، ودخل غرفة الاستقبال فألقى بنفسه على المقعد المقابل، وسألها بتحد:

ـ ما بك صامتة؟ الن تبدأ الاسئلة بالانهمار؟

فقالت بنبرة اتهامية:

ـ لقد اخبرتني انك استاذ محاضر، تقوم بأبحاث...

ـ هذا صحيح في الجوهر فانا احاضر... لاحظي الفرق بين التعبيرين، كذلك أعمل في البحوث.

ـ لكنك بروفيسور. منذ متى حصلت على الدكتوراه؟

ـ على ماذا؟

ـ على الدكتوراه في الفلسفة؟

ـ اوه، آسف لبلادتي... حصلت عليها منذ بضع سنوات.

ـ وهل الآنسة ستيل... صديقتك المفضلة؟

ـ لديك فضول رهيب حول النساء في حياتي ولا ادري لماذا... لكن اعلمي انها السيدة ستيل، بل هي ارملة البروفيسور الراحل ديفيد ستيل

الذي لقي مصرعه قبل سنة في حادث طيران مأساوي.

توقف لحظة ثم اضاف:

ـ كان ديفيد أعز الاصدقاء الي.

ـ آسفة.

ـ لقد عادت لتوها من السفر. وكانت قد اخذت اجازة لمدة سنة. قضت معظمها في جامعة اوسترالية حيث قامت ببعض الابحاث. اختها تعيش هناك ولذا سكنت معها على امل ان يساعدها ذلك على نسيان خسارتها الفادحة لزوجها.

ـ هل هي... زميلة لك؟

ـ أجل، انها تعمل تحت اشرافي وفي لقسم نفسه، ولذا سأراها كثيرا من اليوم فصاعدا. هل انتهيت؟ اذا طرحت اسئلة اخرى حولها سيتبادر الي انك تغارين منها.

توردت حتى منابت شعرها وتشاغلت بالنظر الى الاوراق المطبوعة فانحنى صوبها وسأل:

ـ أهل تغارين منها يا ادريان؟

فاجابت بصوت هادىء اثار استغرابها:

ـ انسيت اني مخطوبة؟

حدق الى يدها اليمنى وقال:

ـ ألم يشتر لك الخاتم بعد؟ الا يريد تحذير سائر الرجال من عدم قطف هذه الزهرة التي تخصه وحده، لشدة سروره وزهوه بموافقتك على الزواج منه؟

فسألت وهي تنظر الى الاوراق على حضنها:

ـ لو كنت البس الخاتم، هل كان ذلك ليردعك ليلة امس؟

فاجاب في وضوح تام:

ـ كلا، لا شيء كان ليردعني ليلة امس.

ناداها كليفورد في تلك اللحظة، فغادرت الغرفة وصعدت الدرج بسرعة.

كان يجلس على فراشه وطلب منها كوب ماء. ناولته اياه فجرعه بنهم، كذلك بدا متوردا من الحمى، فسألته مبتسمة وهي تحاول اخفاء القلق في

www.liromancia.com

صوتها:

- كيف حالك الآن؟

- ما زالت متعبة. اين موراي؟

استغربت مجددا اعتماده على اخيه الاصغر واجابت:

- في غرفة الاستقبال. هل اطلب منه ان يصعد؟

اومأ برأسه فنادت موراي الذي ارتقى الدرج بخفة، وبدا غير مبال بأخيه كعادته. استوضحها الامر فقالت:

- حرارته مرتفعة. هل تنصح باستدعاء الطبيب؟

دخل غرفة اخيه دون ان يجيبها، وجس جبين كليفورد ثم وضع اصابعه على رسغه كما لو كان يجس نبضه. راقبته ادريان في استغراب. فابتسم لها وقال:

- ها هي دروس الاسعاف الاولى، تفيدنا من جديد.

وسأله كليفورد بصوت ابح:

- هل انا بخير؟

- أنت على احسن ما يرام بالنسبة الى الرشح الذي تشكو منه.

تركها وذهب الى غرفته وما لبثت ان سمعته يناديها وحين ذهبت اليه ناولها قرصي دواء وقال:

- اني احتفظ بكمية من هذه الاقراص للطوارىء. دعيه يتناولها مع الماء ايتها الممرضة.

نفذت طلبه بلا معارضة، وقد بدا لها طبيعيا بحكم الظروف ان تتلقى الأوامر منه. اما كليفورد فابتلع الحبتين بسرور طفولي كما لو انهما تحتويان مادة سحرية كفيلة بشفائه. بقيت معه حتى موعد الشاي، وكان قد تحسن وانتعش قليلا، ووعدته بأن تعود مساء لتطمئن عليه.

اخبرت أمها ان مخدومها مريض وانها مضطرة للعودة لاتمام عملها، فتقبلت امها الامر لاعتيادها على مواعيد عملها غير المنتظمة، وقالت تلح عليها:

- لا تتأخري في الرجوع كما فعلت الليلة السابقة، فلا احب البقاء طويلا لوحدي.

تذكرت ادريان سبب تأخرها بمزيج من الالم والسرور، واكدت لامها انها ستعود باكرا هذه المرة.

وجدت كليفورد في انتظارها، واثبتت لها الصينية الفارغة انه تعشى جيدا. ناولها بضع صفحات كان كتبها بعد ذهابها وقال:

- انها قليلة وكتبتها بخط مزعج، لكن حبذا لو تكرمت بطبعها هذا المساء.

اخذتها الى الكوخ بصحبة فليك الذي سرعان ما ربض في مكانه المعهود عند قدميها. كانت العتمة بدأت تتجمع فأضاءت النور وعملت بعض الوقت. ثم لما اشتد الظلام في الخارج وراحت الهوام تحوم على زجاج النافذة في محاولات فاشلة لاختراقه، رفعت رأسها فجأة، اذ سمعت صوتا خارج الغرفة، فقفز قلبها لظنها ان موراي اتى.

انجذب بصرها الى النافذة فرأت وجها يحدق فيها.

فتحت فمها لتصرخ فلم وجدت صوتها. عندها هب فليك يجعر ويكشف عن انيابه وعواؤه يملأ الكوخ، فاستدارت حدقتا الوجه البشع اليه ترقبانه وهو يحاول القفز الى النافذة، ثم ابتعد الرجل واختفى، فيما تجمدت ادريان رعبا اذ حسبته سيدخل الكوخ.

ركض فليك الى الباب وقفز عليه مرارا وعواؤه العالي كفيل بتخويف قبيلة من اللصوص. الا ان الرجل لم يدخل، وبعد عشر دقائق من الخوف الرهيب تجرأت ادريان على فتح الباب وهمست للكلب:

- تعال يا فليك... يجب ان نعود الى البيت... إبق معي يا صديقي.

فهم الكلب مرماها، فركض معها بين الاشجار وظل الى جانبها حتى وصلا البيت. اندفعت تفتح باب المطبخ وواجهتها ظلمة الداخل اذ كانت السيدة ماسترز قد صعدت الى غرفتها. واخذت تتحسس طريقها، واندفعت اخيرا الى غرفة الاستقبال. كان موراي هناك ووقف لدى دخولها فكادت تسقط بين ذراعيه.

كان لونها مخطوفا من الذعر وجسمها يرتعد واسنانها تصطك فلا تقوى على الكلام.

- يا الهي! ماذا حدث؟

سألها موراي فلم تستطع جوابا، فيما اخذ الكلب المنفعل يدور على نفسه كاشفا عن انيابه.

التصقت بموراي فعاد يستفسر ملهوفاً:

- ماذا حدث يا ادريان، خبريني.

فقالت متلعثمة:

- لا بدأ... انه الرجل الـ... الذي حيرتني امي... منه والذي شـ... شوهد يتسكع في القرية.

فاجلسها على المقعد في رفق...

- سأخرج لاتقصى الأمر.

فتمسكت بيده وهتفت:

- لا، لا تفعل! فقد يكون في الخارج وقد يؤذيك.

فاقتلع يده من يدها المتقلصة وقال باسماً:

- لا تقلقي علي فانا قادر على حماية نفسي.

خيل لأدريان انه غاب لزمن طويل قبل ان يعود ويقول:

- لم أر له اثرا لكن السياج مكسور. لا بد انه جاء عبر الحقول وصعد عليه الى الحديقة. من الافضل ان نخابر البوليس.

فتوسلت قائلة:

- موراي، لا تخبر كليفورد، فقد يقلقه ذلك.

- لن اخبره حتى في الحلم، فهو لن يقلق فحسب بل سيطير صوابه ذعراً... ليس عليك انت، لا تخدعي نفسك... بل على كتبه الثمينة التي يحتفظ بها في الكوخ.

وبعدما خابر المخفر عاد يطمئنها:

- قالوا انهم سيعممون انذاراً في المنطقة الى كل رجال البوليس، وطلبوا ان نعلمهم اذا ما ظهر الرجل مرة اخرى.

ثم ابتسم لها وسأل:

- اهدأت الآن قليلاً؟

اومأت برأسها واجابت:

- اعتذر لكوني طرحت نفسي عليك... كنت خائفة جدا ولا اشعر بما افعل.

فعلق بجفاف:

- ادركت انك ما فعلت ذلك بدافع الحب.

ثم اردف مقطباً:

- من الافضل الا تعملي في الكوخ ليلا حتى يمسكوا بذلك المتسلل... لو ما كان قليك هناك...

وانحنى يداعب الكلب هامساً له:

- اعتن بسيدتك جيدا يا صديقي.

ثم قال للفتاة:

- افضل لو تتخلين عن نزهاتك المسائية في الوقت الحاضر يا أدريان، حيث لا امان بوجود شخص مريب كهذا.

- وانا افضل ان لا أخبر امي كيلا تقلق... ليس علي بل على تركها بمفردها.

فجلس موراي وقال مفكرا:

- غريب جدا ان يتشابها الى هذا الحد... خطيبك وامك. هل يقدمان دائما مصالحهما على مصالح الغير؟

تمهلت في اعطاء الجواب ثم قالت في وجوم:

- نعم.

جلس على ذراع المقعد واطبق اصابعه على رسغها فعرفت انه استطاع جس نبضها المتسارع... سألها:

- هل اعطيك شيئاً يهدئك؟

فودت لو تخبره ان لا شيء يهدىء اعصابها ما دام هو قريباً منها الى هذا الحد.

- ماذا ستعطيني؟ حليبا ساخناً؟

- بل حبة دواء مهدئة.

- لا شكرا، سأتحسن قريباً.

ثم اغمضت عينيها وقالت:

- يجب ان اعود الى الكوخ لآتي بالأوراق.

- سأذهب معك ثم اوصلك الى البيت.

شعرت بالامتنان لتفهمه فضغطت على يده، ولما انتبهت لغلطتها سحبتها ونهضت واقفة. قالت بشيء من الذعر:

- سأمضي الآن الى الكوخ.

www.elromancia.com

تبعها عبر الحديقة وفليك يقفز امامهما. ارتجفت قليلا فاحاط كتفيها بذراعه وسأل:

ـ بردانة؟

ـ تركت كنزتي على المقعد في غمرة خوفي.

ساعدها على ارتدائها، وانصرف الى ملاعبة الكلب حتى وضبت الاوراق المطبوعة واقفلت باب الكوخ خلفها.

وفي الردهة، قالت:

ـ يجب ان القي على كليفورد تحية المساء. ابق هنا يا فليك.

فقال موراي:

ـ لا بأس. سأرعى كلبك بينما تودعين حبيبك.

فحز في نفسها ان يعود الى سخريته وكأن انسجامهما السابق لم يكن.

وسألها كليفورد حالما دخلت غرفته:

ـ هل انهيت طباعة النص؟

ـ ليس... تماما، لكني سأكمل الطباعة في الصباح.

فقال حين ناولته الاوراق:

ـ اشكرك على عملك حتى هذا الوقت المتأخر.

واضاف شاردا وهو يتفحص الصفحات:

ـ ارجو الا تكوني تعبت كثيرا.

لم يكن يفكر فيها اطلاقا لذا لم تجد ضرورة للجواب. وسألته:

ـ هل تشعر بتحسن يا كليفورد؟

تطلع اليها فورا وقد جذب اهتمامه هذا الموضوع المحبب الى قلبه، واجاب في حذر وكأنه يرفض الشفاء بهذه السرعة:

ـ اشعر بتحسن قليل.

فردت باسمة:

ـ ستتعافى غدا على الأرجح.

ـ أشك في ذلك يا عزيزتي فالرشح لا يزول بسهولة. وعلي ان احترس كما تعلمين، فانا ما شعرت بالعافية الكاملة ابدا.

فقالت لترضيه:

ـ اعرف ذلك يا كليفورد وكنت احاول فقط انعاش معنوياتك.

ـ شكرا يا عزيزتي، لكني تأكدت منذ زمن بعيد بأني لن اكون ابداً كسائر الرجال من الناحية الجسمية.

ثم اخذ يدها واردف:

ـ انت تدركين هذا يا ادريان، أليس كذلك؟

اومأت وابتسمت له باقتضاب. هل يحاول افهامها ان حياتهما الزوجية ستكون «مختلفة»، وانها يجب الا تأمل في اكثر من ان تظل زوجة بالاسم؟ انه يتكلم كما لو انها لم تدرك هذه الحقيقة بعد. قالت لنفسها في سخرية غريبة عنها، وسرعان ما اخافتها... هل يعني هذا انها باتت ترفض في اعماقها فكرة الزواج منه، هل ان عناق موراي لها جعلها تفهم اكثر، وبالتالي لن تكتفي بذلك الزواج الخالي من الحب، فتتوق سريعاً الى الحب الحقيقي الذي سيحرم عليها الى الأبد؟

أوصلها موراي حتى باب بيتها ورفض دعوتها الى الدخول. وقفا ينظران الى بعضهما في الظلام. لم يكن يحاول لمسها، وكان حديثه موضوعياً كحديث رجل غريب. وقال:

ـ سأسافر غداً.

فخفق قلبها وسألته وهي تخشى جوابه:

ـ هل سيطول غيابك؟

ـ سأمكث يومين حيث التقي غريتل، فقد مضت سنة منذ رأيتها لآخر مرة.

قالت في نفسها، لو لم يكن يحب غريتل لما انتظر طوال هذا الوقت وبكل هذا الصبر... وعاد موراي يقول:

ـ لا تقلقي على كليفورد، فهو موسوس على صحته، ويعاني فقط من وفرة في الخيال. انه يحبك لانك تدعمين أوهامه وتأخذينها على محمل الجد.

كان هناك ضوء يأتي من النافذة، فاستطاعت ان ترى نظرته التي فضحت المرح المفتعل في صوته. كان فيه حزن مستسلم جعلها ترغب في القاء رأسها على كتفه حتى يزول ذلك الحزن.

قالت بصوت ثابت:

ـ ارجو لك رحلة ممتعة، ولا شك ان غريتل ستسعد برؤيتك بعد طول

www.elromancia.com

الغياب.

ـ ستكون سعادة مشتركة. تصبحين على خير يا ادريان.

ـ وداعا يا موراي.

www.elromancia.com
رومانسية

٦ ـ سهرة!

لم يرجع موراي بعد يومين كما قال، بل مر أسبوع من دون ان يرسل خبرا. استمرت الحياة كالعادة بالنسبة الى ادريان، في الصباح تتلقى الاملاء وبعد الظهر تطبع النصوص.

وسألت كليفورد ذات يوم:

ـ هل سيعود اخوك الى هنا؟

فهز كتفيه واجاب:

ـ ما دامت غريتل قد رجعت فأرجح عدم مجيئه.

ـ هل... سيتزوجان بعضهما؟

هز كتفيه مجددا فبدا واضحا ان شؤون أخيه لا تهمه، واجاب:

ـ لا شيء سيمنعهما الآن من الزواج. فمنذ سنوات طويلة، وقبل ان

تلتقي ديفيد وتتزوجه، كان موراي يحبها لكنه اختارت الرجل الآخر.

- أهذا السبب لم يفكر في الزواج؟

اجاب باقتضاب ليعود الى عمله في سرعة:

- لم يخطر لي ابدا ان اسأله. اين كنا؟ دعيني افكر قليلا.

انقضت عشرة ايام ففقدت ادريان كل أمل برجوعه.

وذات عصر قال كليفورد:

- اعتقد ان الوقت حان لأدعو بعض الاصدقاء الى امسية أدبية. اننا نقيم هذه السهرات بالتناوب وقد جاء الآن دوري ولا يجب ان اخذ هم. لذا حالما اتعافى تماما من الرشح، سأحضر قائمة بالمدعوين وأملي عليك رسالة دعوة لتطبعيها. سأدعو اثني عشر شخصا على الاقل وجميعهم ادباء. هل حضرت امسية من هذا النوع منذ ابتدأت العمل معي؟

أجابت بالنفي، فقال:

- يجب ان تحضري هذه يا عزيزتي وستستمتعين بها حتما. انك تعرفين بالطبع ان اسمي المستعار يجب ان يبقى سرا بيننا، اذ لا يليق بي كشف الأمر امام اناس مثقفين ومميزين كهؤلاء.

- بالطبع اعرف ذلك يا كليفورد، كذلك خطوبتنا، سأبقيها سرا بيننا.

أكدت له انها تتفهم تماما وذكرته بأنها وافقته على لبس الخاتم لتجنبه كل هذه العواقب التي يخافها... افرحه تعقلها واثلج قلبه فاحاطها بذراعه، ولما حاولت معانقته بدورها، اجفل قليلا وارخى ذراعيه، فبدا مغلوبا على امره وحائرا في موقفه.

كان الصيف في عزه، والأشجار العالية بالكوخ مكتظة بالاوراق اليانعة. كانت ادريان تطبع وقد تركت الباب مفتوحا، فيها العصافير تزقزق وتتنازع على الاغصان، والحشرات تئز هنا وهناك.

سمعت صوتا خارج الكوخ، فاجتاحها الذعر اذ حسبته الرجل البشع قد عاد ليقتلها. جلست متصلبة العضلات والخوف يسمرها. ثم اندفع فليك كالمجنون الى الشخص الواقف على العتبة، وتعثر بساقيه القصيرتين لشدة فرحه برؤية صديقه الغريب يعود اليه مبتسماً.

حلت البهجة مكان الخوف في عيني ادريان وهتفت:

- موراي! لقد رجعت!

اضافت بسرعة:

- لكن وصولك المفاجيء اخافني كثيرا! ظننت ان...

فاكمل عبارتها عنها:

- ان ذلك الرجل المرعب قد عاد ثانية؟ لا تفسدي فرحة الموقف، فلو كان هو لما تطلعت اليه بتلك البهجة التي استقبلتني بها، ايتها الصبية.

لكنها اصرت على محاولة التفسير:

- كل ما في الأمر اني فوجئت بعودتك، وقد قال كليفورد...

توقفت، اذ خشيت ان تتحقق الكلمات اذا نطقتها.

- وماذا قال كليفورد؟

فأشاحت عنه وردت:

- قال شيئاً عنك وعن غريتل... كدت أتوقع حصول زواجكم.

سار حول المكتب ليواجهها وسأل:

- حقاً؟ وكيف كنت ستتجاوبين لو اني تزوجتها؟

فارغمت نفسها على الابتسام باشراق، وقالت:

- كنت تمنيت لكما كل السعادة.

- لم اتزوجها... اقصد لغاية الآن، ولذا يمكنك الاحتفاظ بتهانيك الطيبة لبعض الوقت.

كانت منتشية بفرحة لقياه ولم تكترث لاحتمال استفزازها اياه.

حدد اليها النظر وقال بشيء من الاستغراب:

- لقد اكتسبت بعض الوقاحة في غيابي وهي تناسبك. ماذا كان يحدث؟ هل حررك أخي؟

غام وجهها لكنها استطاعت ان تبتسم وهي تجيب:

- لا. انما لدي عدة رسائل للطبع، او بالأحرى دعوات الى امسية ادبية سيقيمها كليفورد.

فوضع يده على رأسه وتأوه قائلا:

- اوه، لا تقولي هذا! كان يجب ان اتأخر في عودتي.

فراجعت قائمة الاسماء وابتسمت مرة اخرى:

- اسمك ليس في القائمة. انت لست مدعواً.

فانحنى صوبها وسأل مهدداً:

www.elromancia.com

- لست مدعواً؟
- اجل. لكن كليفورد دعاني انا.
- اذن، سأبتعد عن الطريق.

في الليلة السابقة «للتجمع الفكري» كما كان يحلو لكليفورد ان يسميه، اخبرت ادريان امها بامر الحفلة وقالت:

- سأتأخر في العودة الى البيت فلا تسهري في انتظاري، فقد تمتد لوقت طويل.
- ما يمنع ذهابي معك؟ انا لا اذهب الى اي مكان!

استشفت لورنا تردد ابنتها، فاعتقدته نتيجة مزدوجة لتباكيها ولقدرتها على الاقناع، فشددت الضغط بقولها:

- أخشى قضاء السهرة بمفردي يا حبيبتي، ولا سيما ان ذلك الرجل الشرير ما يزال يتسكع في القرية، فليت البوليس يقبض عليه سريعاً... ثم انك لا تعرفين ماذا ستجدين لدى عودتك، حيث اكون تعرضت لأسوأ الاشياء!

وفكرت ادريان في اسى، يا لخيالها الجامح الذي يضاهي احيانا خيال كليفورد!

لكنها وجدت في الأمر فرصة ممتازة لتعريف الاثنين الى بعضهما حيث سيكون اللقاء عفويا لا يرمز الى معنى معين.

وعادت امها تلح:

- اسرعي يا حبيبتي واسألي سيدك اللطيف دينينغ.
- حسناً، سأفعل.

جلست لورنا مذهولة بطواعية ابنتها الفجائية وهنأت نفسها على اسلوبها الحاذق في اقناعها.

حاول فليك اللحاق بادريان حين اندفعت خارجة، وعوى غاضبا لما اقفلت الباب عليه.

التقاها موراي على عتبة البيت وسألها:

- ما بك؟
- انها امي.

فاستفسر فورا:

- هل هي مريضة؟
- لا والحمد لله! تريد فقط ان تدعى الى الحفلة.

فضحك بصوت عال وقال:

- انها جريئة حقا، فقلة من الناس تجد الجرأة على دعوة نفسها الى حفلة كهذه تضم مفكرين مميزين، مغرورين، ومزيفين الى هذا الحد!

وسألته مرتبكة:

- هل تحسب ان كليفورد سيعارض؟ انه لم يتعرف اليها بعد.
- اذن حان الوقت لأن يفعل.
- لكنها لا تعرف اني مخطوبة اليه.
- اذن حان الوقت ايضاً لأن يخبرها. اني لا افهم سبب رغبته في كتمان الخطوبة.

اعتذرت اليه وذهبت تبحث عن كليفورد الذي اظهر بعض التردد لدى سماعه طلبها الا انه لم يعارض، بل بدا عليه الخوف اكثر من الامتعاض، فحز في نفس ادريان ان لا يرحب بفرصة لقاء أمها.

وهكذا عادت الى البيت تحمل لأمها الخبر السار وابتهجت به لورنا كبنت صغيرة.

ظهر كليفورد على العتبة حائراً مرتبكاً وكأنه يتمنى لو يدفن وجهه، لكن عينيه كانتا مسمرتين على حماته العتيدة، كما لو كانتا يد طفل وليد تتمسك باصبع امه. لم يكن مندهشاً فحسب، بل كمن يعاني صدمة حادة.

سارع موراي الى تعريفها الى بعضهما البعض، وبدا واضحاً ان لورنا انسحرت بالأخ الاكبر كانسحارها بالأصغر... قالت:

- كم يسرني ان التقيك اخيرا يا سيد دينينغ، فلطالما حدثتني ابنتي عنك.

نظر الى ادريان يسألها بعينيه ملهوفاً، فهزت رأسها بحركة خفيفة بالكاد لحظها الآخران، مما اشعره بارتياح كبير لكون حماته العتيدة ما تزال تجهل الدور المكتوب عليها ان تلعبه في قصة حياته.

اجرى التعريفات المطلوبة، ولاحظت ادريان انه كان يقدمها الى المدعوين على انها سكرتيرته، كذلك لاحظت ان بعضهم بادلها الابتسام مصحوباً بشمخة انف متعالية، يخص بها المخلوقات الادنى منه ذكاء

www.elromancia.com

وتفكيراً.

اما أمها التي مارست سحرها المدروس واستعانت باسلوبها المتكلف الخاص، فسرعان ما استطاعت ان ترسخ نفسها كعضو في ذلك المجتمع.... كانت تجلس الى جانب كليفورد، وتشق طريقها بذكاء في الحوار الدائر بينه وبين رجل آخر، مما جعل ادريان تتعجب من قدرة امها على التكيف بمهارة مع جماعة كهذه، بالرغم من الحياة المغلقة الخاوية التي تعيشها في بيتها.

امتدت ذراع موراي واجلستها على الاريكة. ثم قال هامسا:

- لا حاجة لأن تبدي كأرنب مذعور، فهم ليسوا بأفضل منك يا حلوتي. انهم يتوهمون ذلك ليس الا.

القى ذراعه على كتفها، فنظر اليه كليفورد مؤنباً لكنه ابقاها حيث هي، وتابع:

- لاحظي كيف يتجمعون في حلقات صغيرة ضيقة، تتيح لك ان تصنفيهم تقريبا، فبعضهم هو ما يسمى بتعبير لطيف، «مؤلفون غير منشورين» ينتظرون ان تنشر كتبهم بلا جدوى، ثم هناك الكتبة المستقلون يبيعون نتاجهم لكل من يوافق على شرائه، بعد ذلك هناك درجات متفاوتة من النجاح الى ان نصل الذين يتربعون على القمة وقد بلغوها بشيء من المقدرة وبكثير من الحظ.

فهمست في اذنه وهي تشعر بنظرات خطيبها مسلطة عليها:

- وأين يقع كليفورد في هذا التسلسل الهرمي؟

فضحك وقال:

- اذا اردت رأيي كشقيق وليس كناقد ادبي، فهو قريب من القاع من حيث المقدرة، ولكن على القمة من حيث النجاح. اختاري ما تشائين من الموقعين.

انفتح الباب على مصراعيه فتألقت عيون كل الرجال. كانت الفتاة التي دخلت صغيرة في السنوات انما تبدو في ضعف عمرها من حيث الخبرة كان شكلها الخارجي ساحراً، ترتدي سترة وبنطالا مزينين بخيوط فضية ويلتصقان بقوامها الفائن.

- كليفورد يا عزيزي! كم يبهجني ان اراك ثانية.

تقدمت منه مفتوحة الذراعين وربتت على كتفيه، ثم طوحت بصرها في ارجاء الغرفة وكان جميع الرجال قد وقفوا... تأملتهم واحدا واحدا. وبدأت الانشوطة تقترب حين قالت:

- اين اخوك الرائع الذي حدثتنا عنه؟

سر كليفورد خلاصه من دائرة النور فاشار الى حيث موراي الذي راح يرمق الفتاة باعجاب تخالطه سخرية خفيفة وهي تتقدم منه.

سقطت الانشوطة واعتقلت عنق موراي. نهض ليصافح يدها الممدودة، فسارع شخص واحتل مكانه الى جانب ادريان.

- ما اروع ان التقيك يا سيد دينينغ.

فانحنى متأدباً واجاب:

- وانا كنت سأفقد فرصة نادرة لو ما تعرفت اليك.

ضحكت الفتاة بصوت جذاب اذ حسبته جاداً في كلامه. جلس على مقعد وثير، وبدا مأخوذاً بالفتاة التي كانت قد جلست على كرسي منخفض عند قدميه.

حدقت في عينيه وقالت بصوت مرتفع سمعته ادريان:

- انا لست واحدة من هؤلاء الكتاب الشطار. انا فنانة.

- وما هو اسمك؟

- ديزيريه تشارترز واسمك موراي تبعاً للمعلومات كليفورد.

نظرت في عينيه من بين اهدابها الطويلة وسألته:

- هل تكتب مثل اخيك؟

- اكتب رسائل فقط.

فرنت ضحكتها وعادت تستفسر:

- ماذا تشتغل؟ هل انت متفوق في عملك؟

فأجابها متصنعاً التواضع:

- ابذل افضل ما لدي. اني اعمل في الابحاث.

تقلصت ادريان من الغيرة فأشاحت عنهما، واذا بها تواجه رجلاً قرّب محياه منها وقال:

- مرحباً. انا اوغسطوس تشارلز. فمن انت؟

ابتعدت قليلاً فأمكنها ان تتحقق من بشاعة وجهه. كانت عيناه

www.elromancia.com

منتفختين، ووجنتاه في حاجة الى حلاقة، وشعره شائباً وطويلاً بالنسبة الى عمره. ابتعدت في جلستها فاقترب منها مجدداً. نظرت الى موراي متوسلة فرأته يعبس، انما لم يحرك ساكناً لنجدتها.

استدارت الى اوغسطوس وقالت:

ـ انا ادريان غارون.

ـ هل تكتبين؟

ـ لا. انا اطبع.

ارتج بالضحك اذ حسبها تمزح، وقال في الحاح:

ـ لنتكلم في جدية. ماذا تفعلين؟

ـ اطبع كتب السيد دينينغ، فأنا سكرتيرته.

حسبت ان اهتمامه بها سينضاءل الا انه تزايد، وعلق بنظرة ماكرة:

ـ هذا الصنف احبه! الكسرتيرة العصفورة، ذات المواهب المتعددة.

اقترب منها فتراجعت، ونظرت الى موراي تطلب منه النجدة. كان ينظر اليها، انما لم يكن عازماً على انقاذها، بل بدا مستمتعاً بمراقبة محاولاتها الفاشلة للهرب من جارها الثقيل.

دخل شخص باكواب شراب، فهجم اوغسطوس على الصينية حين اقترب حاملها منه وتناول كوبين، اعطى واحداً لأدريان وشرب الثاني في جرعتين.

اما صديقة موراي الجديدة، فكانت تلتصق به كما العسل بالملعقة... قالت شيئاً جعله يضحك، فشعرت ادريان بحسد فاتك من براعة الفتاة في اجتذابه، ووجدت نفسها مضطرة لتحمل رفيقها فترة اخرى.

بدأ تصرفه يتغير وتحولت ابتسامته الى ضحكة خبيثة ملتوية، وقال بصوت عال استطاع جميع الحاضرين سماعه:

ـ هناك عقاب واحد للسكرتيرة العصفورة، وهو هذا...

ادار وجهها قليلاً وطبع قبلة ستراتيجية على خدها، ولما رفع يده ليدير وجهها الى الناحية الاخرى، ازاحت رأسها بعنف، فارتطمت يده بكوبها وسال العصير على فستانها.

تمتم اوغسطوس معتذراً، وهتف كليفورد اسمها بنبرة مؤنبة وكأن الذنب ذنبها. وتأوهت امها قائلة:

ـ اوه، ماذا فعلت يا حبيبتي!

اما موراي فحاول النهوض ليساعدها الا ان صديقته الجديدة سدت عليه الطريق.

احمر وجهها غضباً وخجلاً وهرعت تركض الى المطبخ فيما لاحقها المدعوون بضحكهم الرائي لورطتها.

سارعت السيدة مسترز الى مساعدتها بكل عطف فنظفت ثوبها بقطعة قماش غمستها بالماء والصابون وبعد قليل زالت آثار العصير انما بقي القماش رطباً فقالت مدبرة المنزل:

ـ لا تخشي يا عزيزتي، فالهواء الدافىء سيجففه قريباً.

فشكرتها ادريان وفتحت باب المطبخ لتجد موراي قبالتها. سأل:

ـ هل يمكنني ان اساعدك؟

ـ لقد تأخرت كثيراً في السؤال!

قالت هذا بقسوة ودون ان تأبه لايلامه. فقال:

ـ ما قصدت الا ان اعرض...

فقاطعته بصوت حاد:

ـ كيف استطعت ترك صديقتك؟ كيف تطيق انسلاخك عنها؟

فرد بالحدة نفسها:

ـ لا تصبي جام غضبك علي ايتها الشابة، فلم تكن لي علاقة في ما حصل. انت التي جررت النار على نفسك حين سمحت لرجل حقير معروف بتبذله بأن يغازلك...

ـ انا لم اسمح له بمغازلتي وانت تعلم ذلك جيداً! ثم ماذا عن تلك الفتاة التي انشبت مخالبها فيك كفريسة ولم تحاول ايقافها عند حدها؟

ـ لكني لست رجلاً مخطوباً يا حلوتي، وفي وسعي ان اشجع النساء بقدر ما اشاء، سواء رضيت انت ام ابيت.

كان كلامه جارحاً وعرف انه يؤلمها لانها لا تقدر ان تخفي عذابها، ومع ذلك مضى يقول:

ـ سأوصلها الى بيتها بسيارتي. لماذا ترتجف شفتاك وتتجمع الدموع في عينيك؟ اعتقد انك تغارين منها، اذن دعيني امسح هذه الدموع كجائزة ترضية.

www.elromancia.com

وفيما هو يفعل ذلك انفتح باب غرفة الاستقبال فدفعته عنها لكنها لم تستطع التهرب من نظرة كليفورد المؤنبة ولا من نبرته المعاتبة حين هتف:

- ادريان!

فقال موراي متشدقاً:

- لا بأس يا اخي. لا تضع اللوم عليها فأنا الذي كنت اهمس لها مواسياً، وحري بك ان تفتح عينيك على تصرفات زملائك المشبوهة، ويجدر بك ايضا ان تعلم هؤلاء الضيوف بأن هذه الفتاة لك. اجل، اعلن خطوبتك لتضع الرجال عند حدودهم بما فيهم انا.

وقف كليفورد ينظر اليه ضعيفاً متهدلاً لا يقوى على اي اعتراض. ثم استدار وعاد الى غرفة الاستقبال.

فغمغم موراي وهو يدفعها عنه:

- يا الهي! انه نصف رجل! كان يجب ان يلكم وجهي. لكنه وقف هناك بلا حراك. هل رأيت اي نوع من الرجال هو. هذا الذي ستتزوجينه؟

في نهاية السهرة، قاد الفتاة الى الباب، حيث لوح لادريان بيد لامبالية. وهتف لأمها تحية المساء ثم خرج. سمعت محرك سيارته في الخارج فلاحقته بافكارها في الظلام.

وفيما كانت لورنا تأتي بمعطفها، لحقها كليفورد الى الردهة وقال:

- غداً سنبتاع الخاتم يا عزيزتي.

- لكن... هل انت متأكد يا كليفورد؟

- بالطبع انا متأكد. سأفعل باقتراح موراي واقدم لك خاتماً.

احاطها بذراعيه للحظة ثم افلتها. فقالت في نفسها: موراي على حق، فكليفورد يحتاج الى شخص يساعده، وليتني اعرف كيف.

سارت وامها الى البيت، وفليك ينط امامهما. كانت لورنا ما تزال تحت تأثير الحدث الرائع الذي اتاح لها السهر مع هؤلاء الناس المميزين، فقالت:

- حفلة رائعة يا ادريان. اتعلمين يا حبيبتي، ان ذلك الرجل البديع، اوغسطوس تشارلز، قد وافق على افتتاح مهرجاننا؟ انه ايضاً كاتب شهير!

ثم غيرت الموضوع قائلة:

- لا ادري كيف سمحت لتلك المرأة الكريهة بأن تسلبك ذلك الشاب

بتلك الطريقة.

كانتا قد بلغتا البيت ودخلتاه، فقطبت ادريان وسألت وهي تحس بردة مفاجئة:

- اي شاب تقصدين؟

- اقصد موراي يا عزيزتي.

- لكنك لا تفهمين الحقيقة يا امي! انه ليس صديقي الخاص.

وعت لورنا بعض الحقيقة فسألت منذهلة:

- اذن، من هو يا حبيبتي؟

فردت ادريان في اعياء:

- تعالي نجلس يا امي. لم اقصد ان اخبرك لأن كليفورد اوصاني بالكتمان، انما... فزعقت بصوت حاد:

- كليفورد هو صديقك المفضل؟ كيف يعقل هذا؟ انه مخدومك!

- انا مخطوبة اليه يا امي، فقد طلب يدي قبل بضعة اسابيع ووافقت على الزواج منه، لكنه لم يشأ ان يخبر احداً في الوقت الحاضر.

- انه يكبرك كثيراً يا حبيبتي ما دام يصغرني انا ببضع سنوات.

- يصغرك بثلاثة اعوام فهو في الثالثة والاربعين.

خيم صمت حائر طويل ثم تمتمت لورنا بانذهال:

- كليفورد! سيكون صهري!

هزت رأسها بافضة، فقالت ادريان وقد اوشكت على البكاء:

- امي، اليس من المفروض ان تهنئيني؟

- آسفة يا حبيبتي، بالطبع انا سعيدة من اجلك، انما لا يسعني الاعتياد على فكرة زواجك... ماذا سيحدث لي عندئذ؟

فردت ادريان متناسية مشاكلها الخاصة:

- سأكون بقربك يا امي وازورك كل يوم.

لكن لورنا كانت تحدق الى الجدار وتتمتم:

- ساعيش وحيدة... ما فكرت يوماً انك ستتزوجين وتتركينني!

www.elromancia.com

٧ـ الحب من طرف واحد

اصطحبها كليفورد الى أغلى صائغ في البلدة وابتاع لها الخاتم. كان الفص عبارة عن عنقود من الماس مصمم بشكل نجمة متألقة، وكان ثمنه باهظاً.

عندما ألبسها اياه، كانا يجلسان على الاريكة، ولما رآها تنظر اليه في توقع، قال كما لو انه يرجوها ان تتفهم:

ـ ادريان، تدركين على الأرجح انه يستحيل علي صياغة مشاعري نحوك في كلمات، كما لا يمكنني ترجمتها عملياً، ومع ذلك فأنا مولع بك، واحتاجك اكثر مما تتصورين. اني اقدر كل ما فعلته من اجلي، فانت ادخلت البهجة الى حياتي حتى قبل ان نتزوج.

توقف ليأخذ نفساً عميقاً ثم انهى خطابه بقوله:

ـ ان مجرد وجودك هنا، كاف لاسعادي.

كلامه احدث فيها تأثيراً عميقاً، فوضعت يدها على كتفه، وسألت لتخفف ارتباكه:

ـ هل نشرب نخب خطوبتنا؟

اومأ موافقاً فنهضت لتذهب الى المطبخ، وعندها دخل موراي وراح ينظر اليهما بالتناوب وقد شعر بتوتر الجو. رفعت يدها اليمنى تريه الخاتم بابتسامة متحدية ونظرة قاسية متألقة.

فنظر الى الخاتم ثم اليها وقال ووجهه خال من التعبير:

ـ واخيراً ارتبط اخي بعهد! لا بد ان ذلك الشيء البسيط قد كلّفه ثروة صغيرة.

احتارت امام لهجته وتعبير وجهه، فهو الذي كان يحثّ اخاه على ابتياع الخاتم منذ اسابيع... وقالت بصوت مضعضع:

ـ اننا نحتفل بالمناسبة، فهل لك ان تشاركنا يا موراي؟

فردّ في برود:

ـ لا حاجة لمشاركتي فهذه ليست خطوبتي.

ثم خرج صافقاً الباب.

أطلّ يوم المهرجان غائماً وعاصفاً، ولكن ما ان اقترب موعد الافتتاح حتى اشرقت الشمس وتبددت الغيوم. قبل الظهر أكملت ادريان طباعة بعض النصوص وذهبت لترى كليفورد قبل عودتها الى البيت ظهراً فوجدت موراي معه.

قال لأخيه بنبرة حازمة:

ـ هذا العصر سأستعير خطيبتك يا كليفورد، فانا سأذهب الى القرية لحضور المهرجان وأريد شخصاً يرافقني. هل لديك اعتراض؟

فقالت ادريان:

ـ لكني...

فقاطعها موراي:

ـ ما دمت عازمة على حضور المهرجان، فستذهبين معي.

بلغا مكان المهرجان وكانت الموسيقى المسجلة تنبعث من مكبرات الصوت، فهتف موراي للكلب وربط المقود في طوقه. وحين لمحت ادريان

امها في كشك الحلوى، جرّت موراي خلفها الى الكشك فرحبت بهما لورنا. وطفق يستعرض قوالب الحلوى ثم قال:

ـ انها تسبل اللعاب. بأي صنف من هذه المعروضات المغرية تنصحينني؟

فاشارت لورنا الى قالب «غاتو بالكريما»، فسألها سعره ودفع الثمن. فلفته في عناية وناولته اياه، فانحنى باحترام وأعاده اليها قائلاً:

ـ تفضلي، انه هدية مني الى حماة أخي العتيدة.

برقت عيناها وقالت:

ـ أتعني ذلك حقاً؟ لكنه باهظ السعر.

تهرّب من تشكراتها ونظر حوله قائلاً:

ـ اين اوغسطوس تشارلز؟ آه... انه هناك.

كان اوغسطوس يصعد درجات المنبر بشيء من التعثر، ويوجه متورد وعينين زائغتين قليلاً. ثم قدمه عريف المهرجان كرونلي شهير رفيع المستوى. وبالرغم من هذا التعريف المضخم للواقع فقد استقبله الجمهور بتصفيق حاد، وانبرى يلقي خطابه الافتتاحي بكلمات منعثرة ومبهجة تقريباً ككلمات الكتب التي يؤلفها، لكن جميع المستمعين كانوا في مزاج صاف مرح، وهكذا استطاع ان يحملهم على الضحك والحزن والتفكير بالتناوب، ثم انهى خطابه بنكتة ضحكوا لها من جديد. بعد ذلك ساعدوه على هبوط الدرج فسار بين الجموع التي ادارت له ظهرها وقد نسيت أمره كلياً في غمرة اندفاعها لشراء مبتغاها من المعروضات قبل ان تنفد.

وقال موراي:

ـ لم يكن خطابه كارثة كما توقعته ان يكون.

فأجابت ادريان ضاحكة:

ـ تبدو خائب الرجاء.

ـ اجل، اردته ان يفشل لأعود وأروي لأخي ان احد اصدقائه الأدباء المبجلين قد جعل من نفسه مهزلة أمام مئات الناس.

توقفت امام كشك المجوهرات والتقطت قلادة ذات احجار كريمة منقوشة، فوضعتها على صدرها وسألته:

ـ هل تعجبك؟

فتأمل المشهد وقال:

ـ نعم. انها تناسب شخصية الفتاة التي تحملها. هل تريدينها؟

مد يده الى جيبه فأرجعت القلادة فوراً واشاحت عنها قائلة:

ـ لا تهتم للأمر.

فالتقطها ودفع ثمنها، وقال وهو يقدمها اليها باسماً:

ـ انها لك...

دعيني ألبسك اياها.

شكرته وغطت القلادة بيديها كما لو انها اغلى شيء في العالم بالنسبة اليها، وقالت:

ـ سأعتز بها ما حييت.

قرأ الاخلاص في عينيها، فقال في جدية:

ـ انت صادقة في ما تقولين.

كان اوغسطوس يسير بلا هدف مع الناس عندما لمح ادريان فتقدم منها متعثراً ومن دون ان يلحظ وجود موراي. احاط كتفها بذراعه وحيّاها بقبلة ماكرة وهو يقول:

ـ ما توقعت رؤية السكرتيرة العصفورة.

فجعر فيه موراي:

ـ أبعد يديك عنها!

اجفل اوغسطوس ثم كست وجهه ابتسامة مذنبة، كقهوة تنسكب على غطاء نظيف، وقال بصوت اجش:

ـ الفارس الشهم نفسه!

ثم رفع يدها اليمنى وقال معلقاً على وجود الخاتم:

ـ اذن هو جعلك امرأة شريفة في النهاية. اهنئك يا صديقي، واعتذر عن تطفلي.

ومضى متعثراً في مشيته.

فقال موراي متضايقاً:

ـ حان الوقت لنعود. اين امك؟

وجداها في الكشك واستأذنها في الانصراف. شكرته مجدداً على قالب الحلوى، وأبدت اعجابها بقلادة ادريان ثم لوّحت لهما مودعة.

www.elromancia.com

أوصل موراي الفتاة حتى نهاية الدرب حيث شكرها على رفقتها وقال انه سيراها في وقت ما. وسار مبتعداً. حدقت الى ظهره المختفي فأحست نفسها تذوي. نظرت الى الخاتم ثم الى القلادة، فعرفت اي من الاثنين هو الاغلى على قلبها!

صباح الاثنين لم يبدأ كما يجب، فقد استيقظت لورنا تشكو صداعاً حاداً وعمدت الى التأوه طوال فترة الافطار. وكذلك بدا فليك عصبياً، وادريان شعرت بدورها بشيء من التوعك. كانت تدرك سبب «علتها» وتدرك ايضاً ان لا علاج للحب من طرف واحد.

عندما وصلت بيت كليفورد، كان موراي يتحدث على الهاتف وسمعته يقول:

- يجب ان اراك قريباً يا غريتل. هل يمكنك المجيء هنا لقضاء بضعة ايام؟ كليفورد لديه بعض الغرف الخالية وسنهيء لك سريراً في احداها. سنأتين؟ عظيم! سأتصل بك ثانية لنتفق على الترتيبات النهائية.

كان ما يزال يتكلم حين صعدت ادريان الى فوق بعدما تركت الكلب في المطبخ. حياها كليفورد بضغطة على يدها، وقال ان لديه كدسة من النصوص جاهزة للطباعة، وأردف:

- سهرت حتى منتصف الليل مكباً على الكتابة.

بدأ النهار سيئاً وانتهى سيئاً بالنسبة الى ادريان. كانت بعد الظهر في غرفة الاستقبال وكليفورد يملي عليها نصوصاً جديدة عندما فتح الكلب الباب بأنفه وركض اليها حاملاً في فمه شيئاً احمر ناعماً.

حدق اليه كليفورد وهتف:

- انه يحمل خفي! خذيه منه فوراً واخرجي هذا الوحش من هنا! تعلمين اني لا اطيق الكلاب! كيف حصل عليه؟ لا بد انه اقتحم غرفة نومي. انا لن اسمح له بالتجول داخل البيت! سأطلب من السيدة ماسترز ان تربطه.

فاجتاحت ادريان سورة غضب على الكلب، لا تتناسب اطلاقاً مع حجم الجريمة. اعترفت في قرارة ذهنها انها غضبت في الواقع على كليفورد لأنه اعلن كرهه للكلب فأثبت بالتالي ان موراي كان مصيباً مرة اخرى. وبما انها لا تستطيع صبّ غضبها على خطيبها، صبّته على الحيوان.

وهكذا، ولأول مرة في حياة فليك، صفعته بقسوة. توقف حيث هو يحدق اليها بذيل متهدل ورأس ذليل، لكن اسنانه ظلت تطبق على الخف.

فزعقت فيه آمرة:

- ضعه على الارض! انت كلب شرير!

وتأوه كليفورد متوجعاً:

- ألا تقدرين ان تفعلي شيئاً بحق السماء؟ أليست لديك سلطة أقوى على هذا الحيوان؟

فغاصت خلف الخف، وسرعان ما ادركت غلطتها، اذ حسبها فليك نسيت زعلها منه وكانت تلاعبه. تراجع الى الوراء ليجعلها تلحق به، فارتطم بساقي كليفورد الذي قفز وكأنه اصيب برصاصة، ثم رفع ساقية وجلس متربعاً على المقعد وراح ينفض سرواله بقرف.

مدت الفتاة يدها واستطاعت ان تقبض على الخف. جذبته نحوها، لكن الكلب جذبه نحوه بقوة اكبر، ثم بدأ يهز الخف ويقضمه بأنيابه حتى اضطرت لسحب يدها اذ خافت ان يمزقه الكلب نتفاً. فركض به فرحاً الى خارج الغرفة، ومضى يتزلج على أرضية البهو المصقولة ثم انعطف الى المطبخ وهرب من بابه الى الحديقة.

تركت ادريان الدفتر والقلم وحقت به الى حيث كان يقفز بمنة ويسرة ويزوغ منها كلما اقتربت منه لتمسكه. ثم استدار ومر بها راكضاً. فمدت ذراعها وجسمها ملتو بعض الشيء، وحاولت القبض على طوقه. زاغ منها ثانية، لكن عنف حركتها اليائسة طوحتها معه، وبدلاً من ان تنطرح عليه انطرحت على فراغ وسقطت.

احست ألماً لافحاً في أسفل سلسلتها الفقارية ولما حاولت تقويم جسمها الملتوي هاجمها الوجع فذعرت وصرخت. كان فليك قد ارخى الخف وربض يراقبها، وكأنه شعر بوجود خلل ما. شرع يعوي ولم يتوقف الا حين ظهر كليفورد في باب المطبخ ونادى بعصبية:

- ما بك يا ادريان؟

- اني عاجزة عن الحركة!

- عاجزة عن الحركة؟

لم يبد انه صدقها. ثم رفع صوته منادياً، وبدون ان يتحرك:

- موراي! موراي، ادريان مصابة بضرر.

فسمعت موراي يصرخ بانه آت فأحست امتناناً جارفاً لقوته وامكانية الاعتماد عليه. وصل مكانها بلمح البصر وانحنى عليها يسأل بلطف:

- أتحسين الماً؟

أومأت والدموع تنفر من عينيها:

- الألم في ظهري، يبدو انه تأذى بشكل رهيب. لا أقوى على الحركة.

- لا بأس. سأساعدك. الآن سأحملك. ضعي ذراعيك حول عنقي، سأحاول ان ابقيك في وضع مسطح قدر المستطاع. اذا شعرت بألم فاخبريني.

آلمتها كل حركة لكنها لم تخبره، بل وضعت خدها على كتفه وغمغمت مغمضة العينين:

- آسفة على كل هذا الازعاج. آسفة يا موراي.

لم يقل شيئاً وحملها الى البيت حيث سأل كليفورد:

- أين اضعها، في غرفتك؟

فردّ اخوه مرتعباً:

- بالطبع لا! خذها الى غرفة السيدة ماسترز.

فقال موراي غاضباً:

- سآخذها الى غرفتي.

وفيما هو يصعد بها الدرج خاطب أخاه المتسمّر في الردهة:

- ما دهاك يا رجل؟ انك ستتزوجها قريباً وتدخلها غرفتك، حيث سيكون لها مطلق الحق في دخولها ساعة تشاء.

مددها على سريره بلطف فائق ونزع حذاءها. كانت شاحبة والألم يبرحها الى حد المرض، وقالت مجدداً:

- انه ظهري، وكل حركة تعذبني... ماذا يسعني ان افعل يا موراي؟

ارتفع صوتها يناشده المساعدة، كما فعل كليفورد. فوقف ينظر اليها مفكراً، وبدا انه يبحث عن حل للمشكلة. ثم عاد الى الواقع بعدما وجد الحل واستقر على رأي معين. قال:

- ادريان، أتسمحين لي بفحص ظهرك؟ اريد ان تحقق من سبب الضرر. لدي فكرة عن السبب انما اريد التأكد.

فتطلعت اليه منذهلة وهمست:

- وما جدوى الفحص؟ انك لن تعرف...

فقاطعها بلطف:

- انا طبيب يا ادريان.

وفي غمرة ألمها حاولت ان تستوعب عبارته فتابع هو:

- انا لست استاذ علوم كما تظنين ولست دكتوراً في الفلسفة بل انا دكتور في الطب. واذا كنت لا تصدقين فاسألي اخي.

فتوردت لمجرد ظنه بأنها تشك في مصداقيته، وقالت:

- بالطبع انا اصدقك، لكن كلامك صدمني.

- والآن، أتسمحين لي بفحصك؟ ان كنت تريدين وجود شخص آخر معنا، ساستدعي لك أمك، او كليفورد.

اجفلت لا ارادياً لدى ذكر خطيبه وأجابت:

- اني اثق بك تماماً يا موراي ولا يسعني الا ان اثق بك.

اوماً يؤكد تصديقه وسأل بلهجة مهنية صرفة:

- اخبريني ماذا حدث بالضبط.

روت له ما حصل فشكرها وطلب منها ان تستلقي على جنبها لكن الألم أعجزها عن ذلك فاضطر لمساعدتها.

فحصها بلطف ومهارة ثم قلبها على ظهرها ثانية، وسأل:

- هل آلمتك؟

- التحرك آلمني وليس انت. الوجع يمتد في ساقي، وبمجرد رفع قدمي يؤلمني. كم سيطول هذا يا موراي؟

- من الصعب ان احدّد المدة. قد تمضي أيام أو أسابيع حتى يزول الألم نهائياً. فكما ظننت، هناك تمزق في الرباط النسيجي في أسفل عمودك الفقري.

جلس الى جانبها وتناول يدها ليجس نبضها. قال:

- أود ان احذرك يا ادريان من ان الوضع سيكون مؤلماً جداً في البداية، وان الوقت هو العلاج الوحيد والاكثر فعالية للشفاء. اقدر فقط ان اعطيك حبوباً مسكنة للألم.

أتودين ان استدعي لك طبيبك الخاص؟

www.elromancia.com

بدأت تهز رأسها لكن حتى تلك الحركة آلمتها. قالت:

- لا شكراً. اني اثق بتشخيصك وعلاجك.

بدا غير مصغ تماماً لكلامها، وقال:

- على كل حال سأعلمه هاتفياً، فلا يجوز من حيث المبدأ المهني ان اتدخل في علاجك قبل اعلامه.

فاعطته اسم طبيبها ورقم هاتفه، وسألها باسماً:

- سأتركك لبضع دقائق كي اخابره، فهل تعدينني بألا تحاولي النهوض في غيابي؟

- لن استطيع ذلك حتى لو حاولت.

فتخلى عن تصرفه المهني وهمس لها:

- وجدتك اخيراً حيث اريدك ان تكوني.

ابتسمت له دامعة فخرج.

هبط الدرج منادياً أخاه، وبدا انهما يتجادلان، ثم سمعت خطوات بطيئة مترددة تصعد السلم، ودخل كليفورد. نظر اليها مرتبكاً، وقال:

- ما مدى الضرر الذي لحق بك؟ الا تستطيعين الجلوس في السرير؟

فردّت محتدة:

- بالطبع لا استطيع!

بدا خجلاً من نفسه، فلان قلبها وقالت:

- اعذرني يا كليفورد، فظهري يؤلمني الى حد كبير.

- لكن ماذا عن عملي؟

أذهلتها قسوته، فبدأت تهز رأسها الا ان الألم جعلها تتوقف، قالت:

- لست ادري يا كليفورد. لا يمكنني فعل الكثير وانا في هذه الحالة، اليس كذلك؟

نظر اليها منجرحاً فاعتذرت بقولها:

- ما عليك الا ان تكتب النصوص بخطك، وحالما اتحسن ساكبّ على الطباعة حتى انجز المطلوب.

سار الى النافذة وأولاها ظهره كما فعل أخوه، فقالت في نفسها: «يبدو اني اقترفت جريمة نكراء، فكلاهما يلومني وينسى اني انا التي أتألم».

وقال كليفورد محدّثاً زجاج النافذة:

- الحق على ذلك الكلب الذي لا تعرفين كيف تؤدبينه بل تدللينه وتغرقينه بالحب وتعاملينه كما لو كان من البشر...

لم تصدق اذنيها... هل هو يغار من كلبها؟ وتابع كليفورد ملحاً:

- عندما نتزوج، عليه ان...

لم يكمل عبارته لأن موراي عاد عندئذ، فخرج كليفورد كجندي متلهف الى تسليم موقع الحراسة الى جندي آخر. نظر اليها موراي وسأل في حدة:

- تبدين مضطربة... ماذا كان يقول؟

- كان... يتحدث عن فليك لدى دخولك، واعتقد انه كان ينوي اعلامي بوجوب... قتله... بعد زواجنا.

فرد موراي بلا اكتراث:

- هذا تحصيل حاصل كما افهمتك مراراً وتكراراً حتى قرفت من الترديد.

ابتسمت ووضعت خدها على الوسادة الرطبة ثم قالت:

- اعتذر لكوني أغرقت وسادتك بدموعي.

فرد مبتسماً:

- لن أموت بسبب وسادة مبللة! لقد تحملت اشياء اسوأ بكثير في خلال مهنتي.

- اكرر اعتذاري عن ازعاجك وافلاق راحتك.

فهز كتفيه وأجاب:

- في سنواتي الاولى كطبيب كنت استدعى ليلاً ونهاراً فاعتدت على عدم الراحة.

فتشجعت وسألت:

- هل كانت لك عيادة خاصة؟

- لمدة سنتين كنت شريكاً في عيادة للطب العام، ثم رغبت في التخصص، وبما اني كنت عازباً، فقد درست بجد للحصول على الدكتوراة. لم يكن الامر سهلاً الا انني نجحت.

- والآن...؟

- اخصائي في امراض القلب، ورئيس قسم العلاج السريري للقلب في

www.elromancia.com

الجامعة، واشترك في ابحاث علمية حول امراض القلب، وبالاخص في ما يتعلق بتأثيرات الغذاء على ذلك العضو المهم جداً في جسم الانسان.

أحست نفسها ضئيلة امامه، وقالت:

- اذن هذا سبب محاولاتك المستمرة لتطميني الى صحة كليفورد؟

- والآن أؤكد لك مجدداً الا تقلقي على صحة قلبه بتاتاً. فبناء على طلبه، اجريت له ثلاثة فحوصات شاملة، واخبرته في كل مرة انه لا يشكو شيئاً.

- ومع ذلك لم يصدقك؟

- كلا، هل لأني اخوه أو لأن عدم تصديقه لي يناسبه اكثر، لست ادري، لكني أشك في الشق الاخير.

- ولم لا يطلب راي طبيب آخر؟

فضحك وأجاب:

- سؤال وجيه، انما اعتقد انه في هذه الحال سيضطر الى تصديق ذلك الطبيب... سآتي لك بحبة مهدئة.

عاد بعد دقائق وساعدها على تناولها وقال:

- الآن ستنامين وتتوقفين عن الكلام.

- موراي، لماذا لم تقل انك طبيب؟

فأخذ يدها في كفه وأجاب:

- يا فتاتي الحلوة، انا في اجازة، ومن صالحي البقاء مجهول المهنة، لان الناس متى علموا بوجود طبيب في وسطهم، يسارعون الى اغراقه بشكاواهم الى حد شعوره بالغثيان.

- الحبة بدأت تعطي مفعولها لكني أريد الاستمرار في الكلام.

- ما عهدتك ثرثارة هكذا. يجب ان تعتادي على الانفتاح، وها انت بفعل حبة واحدة اصبحت فتاة اخرى، واذا اخذت حبتين في ظرف أنسب فقد تجدين الجرأة على الاعتراف بالحب!

ضحكت وردّت:

- على ذكر الحب، هل ستتزوج غريتل؟

- هذا سؤال وقح ولست مضطراً للاجابة على كل اسئلتك. انت ما تزوجت أخي بعد ولذا لا يحق لك استجوابي بهذه الخصوصية.

الصقت خدها بالوسادة واغمضت عينيها. انها لا تبتغي ابداً ان تكون زوجة أخيه بل تبتغي اكثر من ذلك بكثير... بدأت الحبة تجرفها الى عالم النوم والاحلام... فرأت نفسها في مكان مظلم، وكان هناك رجل يناديها بلهفة. لا بد انه كليفورد اذ لا احد سواه يمكن ان يحتاجها هكذا حتى في المنام... ثم تراجع ذلك المجهول في الظلام واختفى. حاولت اللحاق به لتكتشف هويته الا ان ساقيها رفضتا التحرك. بعد ذلك استسلمت لنوم عميق خالٍ من الاحلام.

www.elromancia.com

٨ - الأميرة النائمة

استيقظت في الصباح التالي وتساءلت اين هي ثم عادت اليها ذكرى الحادثة. اقنعت نفسها في تفاؤل بأنها احسن، وحاولت تحريك ساقيها فاستطاعت ذلك الا انها احست المأ رهيباً في ظهرها.

اذن لم يتغير شيء وما تزال شبه مقعدة كما كانت يوم امس. حدقت الى السقف قانطة ودخل موراي يفيض بالحيوية فرمقته بامتعاض. سألها عن حالها بابتسامة مستفزة، فما كلفت نفسها بجواب وتابع يسأل:

- هل خف الألم؟ حاولي تحريك ساقيك لنرى.

امتثلت لأمره وقلصت جبينها من الوجع.

- الا تحسين بأي تحسن؟

- تحسن بسيط.

- لا يمكنك توقع المعجزات، فهذه امور تستغرق وقتاً. لا تبدين منفعلة كما كنت ليلة امس.

ودخلت السيدة ماسترز تقول:

- سآتي لك بافطارك يا آنسة غارون، فهل اغسل وجهك ويديك قبلاً؟

فردت مرتعبة:

- سأنظفهما بنفسي فأنا لست مقعدة!

فضحك موراي وقال:

- لا تنفعلي ودعينا نجرب اذا كنت تستطعين الجلوس، ركزي الوسائد يا سيدة ماسترز لارفعها.

انهضها حتى اصبحت جالسة وسأل:

- هل استطعت تحمل الألم؟

- تقريباً.

دخل كليفورد وبقي واقفاً خلف اخيه حتى مدت له يدها لتشجعه على التقدم، فتناولها بتردده المعهود وربت على خدها مبتسماً ثم قال لموراي:

- ما دامت قادرة على الجلوس فهل يمكنها تدوين النصوص؟

فانفجر موراي هاتفاً:

- بحق السماء يا كليفورد، هل انت عديم الاحساس؟ الا يمكنك ولو لمرة واحدة، ان تقدم مصالح خطيبتك على عملك؟

خرج من الغرفة خائباً وما لبث اخوه ان لحق به.

انتهت من افطارها فازاحت السيدة ماسترز الوسائد وعادت الى الاستلقاء. تناهى الى سمعها طرق على الباب الخارجي وعواء مجنون فعرفت ان امها وصلت. سمعت الكلب يقفز السلم، فتقلصت مسبقاً في انتظار هجومه عليها، الا انها سمعت موراي يستقبله على الدرج قائلاً:

- مرحباً يا صديقي... لا، لن تدخل الى هناك بل الى غرفتي.

وبرغم حبها لفلبك ودت لو تشكر موراي من اعماق قلبها. كذلك سمعت امها تتحدث الى صهرها العنيد في الطابق الأول وكلماتها تنهمر بلا توقف، فتخيلته قد تضايق من ثرثرتها لكن صوته وهو يجاوبها كان مرتاحاً تماماً.

وقالت لورنا وهي تطل برأسها من الباب:

www.elromancia.com

- اتسمحين لي بالدخول يا حبيبتي؟ انك تبدين مرتاحة والحمد لله. الست محظوظة بهذه الاجازة القصيرة؟ فيا امك المسكينة تتحمل واجبات البيت لوحدها!

- آسفة يا امي، لكني حتى لو استطعت النهوض، فلن اساعدك كثيراً...

- ما قصدت ذلك ابداً. لا يجب ان تشعري بالذنب فالامر خارج عن ارادتك، لكن مسؤولية الكلب كبيرة.

فقالت ادريان في وهن:

- ربما تتكفل السيدة ماسترز به، وقد يسمح له كليفورد بالنوم في المطبخ...

- بل يجب ان ينام معي في البيت لأن انفرادي يرعبني! بالكاد استطعت النوم ليلة امس.

- اذن ماذا بوسعني ان افعل؟ لقد قال موراي ان شفائي قد يستغرق عدة ايام...

فضمت لورنا يديها كطفلة منفعلة واجابت:

- لا عليك يا حبيبتي، سأتدبر الأمور جيداً. اتعلمين علام اتفقنا انا وعزيزك كليفورد؟ سأساعده في عمله!

ولما نظرت اليها ابنتها مرتعبة اضافت بصوت منكسر:

- انا لست عاجزة يا حبيبتي، ففي امكاني طباعة املائه على الآلة الكاتبة باصبعين، وانت تعلمين ذلك. لقد اتفقت واياه على هذا، فلا حاجة لأن تقلقي على توقف عمل خطيبك. سأبدأ هذا الصباح، وقد تلقف هذه الفرصة بلهفة وفرح.

- لكنه لا يطيق صحيح الآلة الكاتبة، وهذا جعلني اطبع في الكوخ!

- لا تقلقي، فهو قال انه سيتحمل اي شيء، وحتى انا، في سبيل انجاز عمله.

رنت ضحكتها في الغرفة وانحنت تقبل جبين ابنتها قائلة:

- يجب ان اذهب اليه فهو متشوق لبدء العمل.

مر النهار وقد تخللته عدة زيارات من السيدة ماسترز وزيارة من موراي، اما كليفورد ولورنا فما رأت لهما اثراً. تناهت الى سمعها طقطقة الآلة الكاتبة

المتواصلة، ومع انها كانت بطيئة ومجهدة، الا انها ازعجت ادريان اذ استمرت تذكرها بوجوب وجودها هناك وليس هنا على السرير، تستلقي بلا عمل. ارقت تلك الليلة ايضاً، انما راعت الا توقظ موراي وفضلت البقاء وحيدة مع هواجسها وحنقها على الظروف التي منعتها من الحراك.

كانت لورنا قد عادت للعمل ثانية مع كليفورد، وقبل ذهابها الى البيت ظهراً صعدت لتطمئن على ابنتها التي لاحظت ان عينيها كانتا اكثر تألقاً، وحركاتها اكثر حيوية ومعنى، وهي ما رأت امها هكذا منذ سنوات...

لقد وجدت اخيراً عملاً مفيداً وهدفاً لحياتها، وهذا ما يسميه موراي «علاجاً نفسياً» في اصطلاح الطب.

جاءها كليفورد في احدى زياراته النادرة، واكد لها ايضاً ان الأمور على خير ما يرام... كلاهما، هو وامها، يبدو حريصاً على افهامها بطريقة ساذجة وملتوية، انه بالامكان الاستغناء عن خدماتها. وليس العكس كما هي تظن.

كان عاطفياً اكثر بقليل من المعتاد، اذ جلس على المقعد المحاذي للسرير يلاطفها بذراعيه، فبدا لها كما لو انه يتدرب من الآن على عاطفة اعمق من شأنها ان تعزز حياتهما الزوجية.

بعد خروجه، اخذت تتساءل عن التبدل الذي طرأ على موقفه تجاهها.. كم سيدوم؟

هل تحدث اليه موراي مجدداً، حيث لقمه ارشادات جديدة حول كيفية اظهار حبه لخطيبته؟

دخل موراي لحظتئذ وسألها:

- تبدين مرتبكة، ما الحكاية؟

- كليفورد كان هنا.

- اتقصدين القول انه كان يتودد اليك؟

ما كان بحاجة الى ردها الايجابي اذ استطاع رؤيته في وجهها...

قالت:

- بصراحة، حسبت انك قد تحدثت اليه مجدداً.

فضحك باستغراب شديد وقال:

- اتعنين اني كنت ازوده بنصائح في فن المغازلة والتودد؟

www.elromancia.com

هزت كتفيها واجابت:

- ربما، اذ في كل مرة تفاتحه بهذا الموضوع يصبح... اكثر بقلبل... كحبيب.

ضحك ثانية وقال:

- وهكذا استعنت بذكائك على ملاحظة هذه الحقيقة؟ ثم اما خيب امالك، ان يضطر رجل في سنه الى طلب المساعدة من اخيه الاصغر منه؟ اني لأتساءل، هل سيتوجب علي البقاء قريباً منكما، في مطلع زواجكما، كي ازوده بالارشادات تباعاً؟

اسكتتها حقيقة كلامه النصفية، فرفع احد حاجبيه وتابع متسائلاً:

- بأية صفة تحسينني انصحه؟ كطبيب ام كرجل خبير في الحب؟

لاحظ باهتمام نظرة الألم التي كست وجهها، ثم قالت في حدة:

- كطبيب بالطبع.

- اذن تظنين اني عشت حياة خالية من الشوائب؟ كيف لك ان تعرفي ذلك؟

عبست واشاحت عنه. انها لا تمتلك بالطبع المعلومات الكفيلة بايصالها الى اي استنتاجات صحيحة حول ماضيه، بل تعرف فقط، انها تتأثر بقربه وقوته وشخصيته الطاغية، وتتوق الى حنانه الذي لن تجد له مثيلاً في صدر خطيبها في اي يوم من الأيام.

تلك الليلة عاد اليها الأرق، وكلما تحركت كان الألم يلسع اسفل ظهرها... كان موراي طلب منها ان تناديه اذا حصل هذا، لكنها ما استطاعت ان تحمل نفسها على ازعاجه. وفجأة سمعت حركة على الدرج ثم رأت الباب يفتح في بطء، فخفق قلبها.

نظر موراي الى عينيها الواسعتين المحدقتين وقال:

- هذا ما حسبته... ان اجدك تصارعين السهاد دون ان تفوهي بكلمة.

تطلعت اليه تتساءل، ففي قتام الغرفة ونصف وجهه في الظلال، بدا غاضباً وحيراً. هل كان حلماً ما رأت تلك الليلة ام انه كان بالفعل يهتف اسمها ملهوفاً؟ الآن وهي تراه يقف بطوله الفارع وعينيه المظللتين واغرائه، يبدو لها قادراً على اي شيء.

زارها صباحاً وهو يرتدي بدلة رسمية وسألها:

- اما زلت تريدين العودة الى بيتك؟

فاجابت خجلة:

- نعم، ارجوك.

- ومن سيعتني بك هناك ما دامت مك تعمل هنا وستبقين بمفردك؟

- امي سوف تهيء لي وجبات الطعام وهذا كل ما اريد... وانت وعدت بأخذ فليك في نزهاته.

- آسف. اليوم سأذهب الى البلدة فندي اجتماع عمل مع زميل لي. لن اتأخر في العودة، وعلى كل سيكون الوقت متأخراً بالنسبة الى انتقالك. وبما اني الرجل القوي الوحيد في هذا البيت على ما يبدو، فما عليك سوى الانتظار حتى يسمح لي وقتي بارجاعك.

خرج مسرعاً فهتفت اسمه لترجعه ولتؤخر ذهابه ولو لبضع دقائق وسألته:

- وماذا عن فليك؟

- السيدة ماسترز وعدت ان تعتني به وهو الآن معها فلا تقلقي. اتريدين شيئاً آخر؟

هزت رأسها نفياً، فسار الى السرير وقال:

- لا تبتئسي هكذا فانا لن اهجرك، سأخرج ليوم واحد ولن اخرج من حياتك، بعد... وجهك يقول انك سوف تفتقدينني وحتى لو كان هذا صحيحاً فلن اهنيء به نفسي لأني اعرف انك ستفتقدين مساعدتي ليس الا.

هذه المرة خرج وابتعد فلم تناده لترجعه. لقد رحل مصطحباً معه قوته وحيويته فأحست بجسمها يضعف ويذوي وباشراقها ينحسر كما الدم من شريان حيوي.

آوى الجميع الى الفراش ونامت ادريان نوماً متقطعاً ايقظها منه صوت مفتاح يدور في الباب الخارجي. ونظرت الى ساعتها فاذا بها الثانية بعد منتصف الليل... اين كان موراي؟ هل كان «زميله» امرأة؟ لا يمكنها ان تسأله لأنه لا يحق لها ان تتطفل. عادت الى النوم واستيقظت في الصباح منتعشة.

دخل الغرفة نشيطاً وبعد الافطار مباشرة. بدا مرتفع المعنويات وقال يستفزها:

ـ هيا، اسأليني اين كنت مساء امس... العبي دور زوجة الأخ المستبدة واشرعي في استجوابي.

فاشاحت برأسها بعيداً واجابت:

ـ لست مهتمة مثقال ذرة بما فعلته ليلة امس.

جلس على المقعد وتابع قائلاً:

ـ حسن، ان كنت لا تريدين سؤالي، سأتطوع باعطائك المعلومات المطلوبة. التقيت ديزيريه تشارترز في البلدة وبمحض الصدفة.

ادارت ادريان رأسها بسرعة الرصاصة، فقال:

ـ توقعت ان يثير فيك هذا الخبر رد فعل عنيفاً... اقترحت ديزيريه... ان نسهر معاً... فتعشينا ورقصنا.

فعادت تشيح رأسها لتخفي الغيرة في عينيها. لكنه ما قدرت ان تخفي التورد الفاضح الذي زحف الى وجنتيها. سألته بصوت جامد:

ـ وهل استمتعت بالسهرة!

فانحنى الى الأمام واطبق باصابعه على ذقنها ثم أدار وجهها لينظر في عينيها واجاب:

ـ اجل، استمتعت بالسهرة كثيراً.

رأى التعبير الضائع والحزين الذي فضح احساسها بالقصور الكلي، فابتسم راضياً عن نفسه ونهض يقول:

ـ صحيح، انت تريدين العودة الى بيتك. هل اخبرت امك؟ لا؟ وخطيبك؟ ايضاً لا؟ اذن انت تحملينني كل المسؤوليات؟

استطاعت فقط ان تتمتم معتذرة وما قدرت ان تخبره بانها امضت النهار بطوله تفكر فيه وعيناها على عقارب الساعة لذا نسيت كل شيء آخر، ثم قالت متباهية:

ـ نهضت اليوم لبعض الوقت حيث تمشيت في الغرفة بمساعدة العصا.

ـ اراهن انك تألمت في اثناء المشي.

ـ اجل لكني تحملت الوجع اذ لا يمكنني الاستلقاء على السرير الى ما لا نهاية.

ـ هيا ارتدي ثيابك. سآخذك الى بيتك بسيارتي.

ـ وفليك؟ الن يأتي معنا؟

ـ انه كلب عنيف الحركات ومن الافضل ان تؤجلي اجتماعك به حين تستقبلينه جالسة على مقعد والا سوف تعودين الى نقطة البداية وتستلقين على ظهرك من جديد. سأنقلك اولاً ثم اعود لأحمله اليك.

فجلست على السرير وقالت:

ـ هل لك ان تخبر امي وكليفورد بأمر ذهابي؟

ـ حاضر، سأقوم بمهمة ساعي البريد.

فابتسمت معتذرة:

ـ آسفة يا موراي لعجزي عن اداء المهمة بنفسي.

كانت تنتظره بكامل ثيابها عندما رجع، وبدون ان ينطق بكلمة لف جسمها بذراعيه ولما اعترضت على ذلك، قال:

ـ نزولك السلم سيضر بك وسوف يستغرقك ساعة من الوقت. هيا، لا تخجلي. تمسكي بي وخذي راحتك.

لفت ذراعيها حول عنقه فابتسم بمكر وقال:

ـ لا ادري ما هو شعورك لكن حملك يشعرني بالمتعة.

وصل بها السيارة ووضعها على المقعد الخلفي في وضع نصف استلقائي، ثم طوى بساطاً ووضعه كوسادة تحت رأسها، فاعترضت بأن المسافة قصيرة جداً لكنه حذرها قائلاً:

ـ ان اقل هزة قد تبطل كل ما احدثته ايام الراحة من مفعول.

فتح باب البيت وعاد ليحملها من السيارة، فقالت بضيق انها تفضل ان تمشي، فماذا سيفكر الجيران؟

فاجاب:

ـ سيفكرون اني احملك فوق العتبة وسيصيبون في هذا التفكير.

فقالت وهي تبتسم له:

ـ لكن ليس من عادة الاطباء ان يحملوا مرضاهم فوق العتبة الا اذا كانت لديهم نوايا شريرة.

ـ كفي عن اثارتي ايتها الشابة، فهذا التصرف ليس من طبعك اضافة الى جهلك بخطورته. تذكري ايضاً انك لست مريضتي وانا لست طبيبك،

www.elromancia.com

ولذا قد تكون نواياي شريرة بالقدر الذي يروق لي.

انزها برفق على مقعد في غرفة الاستقبال فاستلقت الى الوراء وتنهدت وهي تنظر حولها الى الاثاث المألوف الذي اشتاقت اليه وقالت:

- ما احلى العودة الى البيت.

فعلق موراي وهو يجلس على ذراع المقعد:

- هذا تصريح غريب يصدر عن فتاة محظوية، فأنت ستتركين بيتك نهائياً حين تتزوجين اخي.

فسارعت الى تغيير الموضوع بقولها:

- اشعر كما لو كنت مريضة، لكني لم اكن مريضة، اليس كذلك؟

- شعورك ناتج على الارجح عن الألم الذي كابدته. لا تحسبي اني لا اعرف مدى العذاب الذي خضته، فما اصاب ظهرك قد يسبب اوجاعاً جسمية مبرحة، ونفسية ايضاً بالنسبة الى شخص نشيط مثلك. والآن، اذا ارشدتني الى المطبخ، سأصنع لك فنجان شاي.

فسألته باستغراب حقيقي:

- وهل تعرف كيف تصنع الشاي؟

- هذه اهانة! بالطبع اعرف ذلك. فالاطباء العاملون مثلي في مجال البحوث الطبية، لا تتراكض الممرضات الى خدمتهم كما يفعلن مع الاطباء الآخرين... اني لسوء الحظ، لا احتك بهن الا نادراً... والآن اين هو المطبخ؟

دلته عليه وطفقت تصغي الى قرقعة الأواني وصفير الابريق عند غليان الماء كما لو كانت تلك اروع الاصوات في الدنيا!

وقال لما رجع حاملاً الشاي:

- وجدت صينية ايضاً وبعض البسكويت.

وفيما هما يشربان الشاي علق قائلاً:

- منذ مدة ما بدوت متألقة هكذا.

انزل الفنجان عن فمه وقال:

- هناك جو من الرضى والقناعة يحيط بك، افلا تشعرين بغياب شيء... او بالأحرى، بغياب شخص ما؟

فبدت عليها الحيرة واجابت «لا» في صيغة سؤال، فاجابها وعيناه تبرقان ليفهمها انه تعمد ايقاعها في مصيدة:

- خطيبك. الا تفتقدين وجوده؟

فتمتمت بعصبية لانه خدعها وحملها على اعتراف ضمني بان وجوده كان كافياً بحد ذاته ليجعلها تنسى كليفورد:

- بالطبع افتقده، لكنه ما زارنا ابداً في البيت.

فتصنع الشعور بالفضيحة وهتف:

- اما زار بيت خطيبيته ابداً؟

- كيف كان له ان يزورنا، حين كانت امي نفسها تجهل امر الخطوبة ولم تدر بها الا مؤخراً؟ لقد اصر كليفورد منذ البداية على ان نكتم هذا السر، لكني اضطررت لاخبار امي في النهاية لأنها حسبت... انك انت خطيبي.

فضحك وسألها:

- كيف كان رد فعلها حين زففت اليها نبأ الخطوبة؟

- انتابتها صدمة لأني فعلت شيئاً حسبت اني لن افعله ابداً... اقدامي على الخطوبة، ثم اعتراها الحزن حين فكرت بعزلتها بعد زواجي.

اطلق صفيراً خفيفاً وقال:

- بكلمات اخرى، لعبت امك دور الشهيدة.

اومأت برأسها ثم همست:

- كنت افكر يا موراي بأن اسأل كليفورد اذا كان يوافق على ان تسكن امي معنا بعد زواجنا.

فوقف وسأل:

- اجادة انت في ما تقولين؟

ولما اومأت برأسها هتف غاضباً:

- أتعنين انك كنت سترضين بحمل عبئها معاً؟ ان خضوعك وتقبلك الاعمى لنصيبك البائس في الحياة يثيران فيّ الجنون!

سمعا سيارة تتوقف في الخارج فسار موراي الى النافذة وهتف:

- يا للمصيبة. الملك جاء بنفسه!

استدار اليها واردف:

- انه كليفورد اق يوصل امك. هذه زيارة رفيعة المستوى، فأين

الابواق، اين السجادة الحمراء؟

دخلت لورنا متوثبة وقالت وهي ترفع يديها في ابتهاج:

ـ اهلاً موراي. ما تصورت ان اجدك هنا.

قفز فليك في حضن ادريان وراح يهز ذيله ويشمشم قدمي كليفورد الذي تراجع في قرف ثم حرك احدى قدميه باتجاه الكلب كما لو كان سيشرع في ركله.

فهتف موراي اسم الكلب بصوت كأزيز الرصاصة فركض فليك ليحتمي به، ثم قذف اخاه بنظرة باترة كانت كفيلة بشق جلده كمبضع جراح، الا انه شخص اليه بنظرة صفراوية شاحبة وكأنه لا يعلم سبب غضب اخيه.

لم تلحظ ادريان هذه اللعبة الجانبية بين الاخوين، فسرورها بالعودة الى محيط بيتها كان يخدر حواسها، ورضاؤها العميق كان يعميها عن التنبه الى التجاذبات الحربية المستبدة بالآخرين.

ـ كليفورد؟

غمغمت وهي تدعوه اليها مبتسمة، ثم رفعت ذراعيها عالياً ولما انحنى قليلاً، لفتها حول عنقه. كانت اول مرة تعبر له فيها عن عواطفها بهذه الايجابية، وشددت عناقها لتجعله يجاريها بشيء من الدفء كي تثبت لموراي مدى خطأه.

لكن محاولتها حصدت فشلاً باشاً. فسقطت ذراعاها بعيداً، وحين استقام كليفورد في وقفته كان الارتباك يورد وجهه كمراهق. نظرت ادريان الى موراي متحدية فوجدته يراقبها لكن وجهه كان خالياً من التعبير فاستمدت عزاء من ذلك، فهو على الأقل لم يضحك ساخراً منها.

وبالرغم من ذلك صممت على ان لا تبادره ابداً، واذا لم يتقرب منها من تلقاء نفسه فعليها ان تتعلم ضبط عواطفها بحزم وشدة.

اخذت لورنا تظهر قلقها على ابنتها بنشاط مفتعل فأتت لها بكرسي منخفض لتوفع قدميها عليه ثم اعادت ترتيب الوسائد خلف ظهرها، مما ادهش ادريان كثيراً وجعلها تستسلم لاهتمامات امها. لا ريب ان لورنا تبدو الآن مختلفة تماماً عن السابق، فقد غيرت اسلوبها كما الممثلات وصارت تضطلع بدور البطلة بطريقة حماسية قوية الاندفاع ليس بالامكان تجاهلها.

وتصديقاً لهذه الخواطر، ضمت لورنا يديها قبالة ذقنها بحركة مسرحية وسألت بمرح:

ـ والآن، ماذا تشربون، مرطبات؟ قهوة؟

هز كليفورد رأسه فتابعت السؤال:

ـ بسكويت لذيذ؟ كعك صنعته بنفسي؟

اومأ كليفورد مشرق الوجه، ففكرت ادريان بأسى: «لقد تعلمت امي بسرعة نقاط الضعف لدى كليفورد... نظرت الى موراي فرأته يبتسم... فقالت لها:

ـ لقد انتهينا لتونا، انا وموراي، من شراب الشاي الذي هيأه بنفسه.

ـ هذا لطف كبير منه، لكني واثقة من انكما لن تمانعا في شرب قهوتي اللذيذة.

قطبت ادريان مستغربة. متى كانت امها تصنع قهوة لذيذة؟ لكن القهوة التي قدمتها لورنا كانت بالكاد قابلة للشرب، والبسكويت الشهي كأنه من عمل حلويات، والكعك البيتي كان قاسياً قليلاً... بيد ان كليفورد التهم حصته باستحسان ظاهر، ولمعت عيناه بشيء من العاطفة وهو يلوك اطايب حماته المستقبلية.

اما موراي فقد اعتذر عن تناول الحلوى وجاء يجلس الى جانب ادريان ويهمس لها:

ـ سيكون من السهل ارضاء كليفورد عندما تتزوجينه، فليس لديه الا شهية واحدة والطعام كفيل باشباعها. اجل، لن يحتاج الى افراط في الحب بل الى افراط في الأكل! زوديه دائماً باشياء يلتهمها فيصبح من اسعد الرجال... وتصبحين انت من اكثر النساء حرماناً على وجه الارض!

ثم نهض مبتعداً عنها قبل ان تستجمع شتات ذهنها وتجد جواباً ساحقاً لكلامه.

استأذن موراي في الانصراف فيما بدا كليفورد غير راغب في التحرك، وقبل انصرافه قال لادريان:

ـ انك تحتاجين الى وقت لتعودي الى حالتك الطبيعية، ولذا عليك ان تستعملي الغصا لفترة.

فاحتجت لورنا قائلة:

ـ وهل تعتقد اني سأسمح لها بالسير هنا وهناك؟ انها سوف تصعد فوراً الى فراشها وانا اصر على هذا.

ـ ولكني استطيع السير الآن بمساعدة العصا يا امي.

ثم التفتت الى موراي تتوسل قائلة:

ـ اني اقدر بالطبع ان ابدأ المحاولة كي اعود الى عافيتي بدل ان استلقي على الفراش طوال النهار؟

ـ بالطبع، انما ضمن الحدود التي يفرضها الألم، فحالما يشتد عليك كفي فوراً عن التحرك، وهكذا يتحسن ظهرك يوماً بعد يوم.

فعادت لورنا تعارض:

ـ اوه، لكنها لن تذهب الى العمل.

انطلق التصريح من فمها كما لو كان هواء يهرب من بالون ودونما ارادة منها على الاطلاق، ففضح افكارها وخوفها من احتمال ان تخسر العمل الذي اصبحت تحرص عليه، كذلك فضح شعورها التملكي نحو مخدومها المؤقت، ليس كرجل بل ككاتب وروائي شهير. واجابها موراي في هدوء:

ـ حين تتعافى كلياً، لا ارى ما يمنع عودتها الى العمل.

فتدفق الكلام من لورنا:

ـ اوه، بالطبع، عندما تصبح مستعدة، لكن ذلك سيستغرق وقتاً اليس كذلك؟ كان يجب ان نأخذ راي الطبيب، الا توافقني يا كليفورد؟ لم يفت الوقت على استدعائه...

نظرت ادريان الى موراي ثم الى كليفورد الذي كان ينظر الى اخيه... ماذا سيقول خطيبها؟ انه يدرك رغبة موراي في كتمان هوية مهنته مثلما يرغب هو تماماً في كتمان اسمه المستعار، فهل يعقل ان يفضح الآن سر موراي؟

وسارعت تقطع الصمت بقولها:

ـ انا لا احتاج الى طبيب. انه سيقول فقط ان ظهري يتحسن وسيوصيني بالاحتراس في المستقبل. اني اتحسن بالفعل يا امي. انظري بنفسك.

نهضت من المقعد ووقفت بجهد وهي تخفي بابتسامتها الألم الذي كان ما يزال يهاجم ساقيها كلما استوت واقفة.

ادرك موراي مدى شجاعتها فرمقها بحنان ممزوج بالاعجاب، وقال لها:

ـ عظيم! لن يمضي الآن وقت طويل حتى تسرحي مع فليك من جديد بين الحقول.

نطق الكلمات بهدف معين وراح يراقب رد فعل لورنا باهتمام...

رآها تتورد وتتوتر ثم تكتفي بالقول:

ـ نعم، لكنها ليست مستعدة تماماً لذلك.

وعند الباب سأل موراي ادريان:

ـ هل ستبقين هنا ام ستصعدين الى غرفتك؟

فاجابت وهي تحدق في تحد الى امها:

ـ سأبقى هنا.

ـ اذن حين اعود مساء لأنزه الكلب، سوف احمله الى الطابق العلوي، الا اذا رغب خطيبك في الحصول على هذه المتعة.

فسعل كليفورد ثم تنحنح وقال:

ـ لو كانت لدي القوة الكافية لفعلت ذلك حتماً.

وتابع يقول للورنا وليس لأخيه:

ـ لكنك تعلمين اني لست في كامل عافيتي.

وربت على صدره حيث يقع قلبه تبعاً لتقديره، فواسته لورنا قائلة:

ـ انت تحملي هم قلبك وانا احمل هم صداعي، اننا نشكل في الحقيقة زوجاً مرهفاً، اليس كذلك؟ لكن لا تُنتقدي يا ادريان اننا تقاعسنا عن العمل بل انجزنا الكثير منه معاً. لم نفعل يا كليفورد؟

وافقها المؤلف مبتسماً فقال لها موراي بجفاف:

ـ بعد ان تتزوج ابنتك، يخيل الي يا لورنا انك ستكونين حماة مثالية ولن يقدر صهرك ان يستغني عنك.

فاتتها سخريته فتألقت سروراً.

جاء موراي في موعده وقبل ان يخرج مع فليك حمل ادريان الى الطابق العلوي. لم يضعها فوراً على السرير بل تأمل محياها المشع بفرح لم تستطع اخفاءه كلما كان قريباً منها. توقعت منه ان يتكلم لكنه لم يفعل، فقالت لتكسر الصمت:

www.elromancia.com

- يبدو انك لا تفعل شيئاً هذه الأيام سوى حملي من مكان الى آخر.

فابتسم لعينيها واجاب:

- انت حمل ثقيل يطوق عنقي. ماذا ستفعلين اذا عصاك النوم وما وجدتني قربك لأناولك حبوباً...

- سأضطر آنذاك لتحمل السهاد.

فانزلها برفق الى الفراش وقال:

- انت عنيدة كما قلت سابقاً، وهذا في مصلحتك، لأن العناد مزية سوف تحتاجينها بوفرة لتتحملي حياتك الزوجية مع اخي.

جلس الى جانبها وتناول يدها اليمنى وراح يشد خاتم خطوبة وكأنه ينوي نزعه ثم قال:

- الخطوبات قابلة للفسخ يا ادريان. افعلي ذلك الآن وقبل فوات الوقت.

ابعدت يدها وثبتت الخاتم حول اصبعها واجابته محتدة:

- اشكر لك نصيحتك المتحاملة انما اعتذر عن قبولها فكليفورد يحتاجني.

صفق الباب بحدة وهو يخرج من الغرفة.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

٩ - ملجأ في العاصفة

على الرغم من تكهن لورنا المتشائم فقد تحسن ظهر ادريان، انما مضى اسبوعان قبل ان تتمكن من التمشي في ارجاء البيت، وكانت ما تزال تستعين بالعصا لدى صعود الدرج وهبوطه. كانت تأخذ فليك في نزهات قصيرة على الدرب وتبتهج بتحررها من سجن البيت، لكنها ما كانت تحس رغبة في العودة الى العمل مما اثلج قلب لورنا.

وقررت ذات صباح ان تفاجئ كليفورد، فأخذت فليك وسارت الى بيته. سبقها الكلب الى الباب ففتحه موراي وانحنى يداعبه ولما رفع رأسه ورآها سألها:

- ماذا تفعلين هنا؟

فأجابت:

- جئت اثبت صلاحيتي الصحية للعودة الى العمل.

- بشرط الا تجهدي نفسك. لكن كيف ستطلعين امك على الخبر؟ فعودتك ستحرمها سلواها الجديدة وتسقطها من جديد في لجج مشكلاتها النفسية. انك قد لا تجدين وقتاً في الاسابيع المقبلة الا لمداواتها ولمساعدتها على اجتياز ازمتها هذه.

فقالت بلهفة:

- ولكن لا بد من اعلامها ان عاجلاً او آجلاً فهي تعمل فقط كبديل، ولا يمكنني التنازل عن وظيفتي من اجل مراعاة مصلحتها النفسية. اتريدني ان افعل ذلك؟

غادرت الغرفة وراحت تصعد الدرج ووخزات الألم ترافق خطاها، فيما امسك موراي الكلب ووقف يراقب صعودها... وحين فتحت باب غرفة كليفورد، استقبلتها امها بابتسامة مفتعلة ودعاها خطيبها الى الدخول بايماءة مجاملة. كان ما يزال في سريره كالعادة، فتساءلت منزعجة عما اذا كان سيتمسك بهذا الكسل بعد زواجهما.

كانت لورنا تحتل المقعد الوحيد في الغرفة وتضع الآلة الكاتبة على حضنها فيما ترفع اصبعها في انتظار العبارة التالية من الاملاء... جلست ادريان على حافة السرير ملقية يدها على الغطاء، فغطاها كليفورد بيده لبضع ثوان.

قال كليفورد:

- يسرني ان اراك تستردين عافيتك، هل صرت قادرة على العمل يا عزيزتي؟

اجابت بتصميم وبشيء من التحدي:

- اجل.

قالت لورنا، ربما لتثبت حقها في الوظيفة التي تسلمتها بالنيابة عن ابنتها التي جاءت الآن تهدد باسترجاعها:

- انه ينتظرني دائماً كلما ابطأت قليلاً في الطباعة... لقد قمت بعملي بشكل جيد، اليس كذلك يا كليفورد؟

كانت كطفلة تتوق الى المديح... وعادت تقول لابنتها هذه المرة:

- كليفورد يمتدح جهودي، ولذا انا مستعدة يا ادريان لمتابعة العمل ما

دام هو يريد ذلك... اقصد اذا كنت لا تشعرين فعلاً بقدرتك عليه...

فنظرت ادريان الى خطيبها باهتمام... ليس من عادته ان يكيل المديح بأي صيغة او شكل. لكن تعبير وجهه يثبت انه كان صادقاً في اطنابه... ان هذا الانسجام مع حماته العتيدة ليثلج قلبها ويعزز املها بان توافق على سكن امها معهما حين تعرض عليه الفكرة.

في الصباح التالي غادرت البيت الى مقر العمل وقلبك يركض في اعقابها فيما وقفت لورنا تحدق اليها عبر النافذة بكدر واضح... لقد عزفت عن اي كلام وقالت فقط ان هناك صداعاً سينتابها.

لم تلمح موراي طوال النهار وحين دخلت المطبخ ظهراً لتأخذ قليك، اخبرتها السيدة ماسترز ان الدكتور دينينغ كان مشغولاً بانجاز عمله كي يتفرغ لاستضافة صديقته الآتية لزيارتهم.

فسألتها ادريان:

- اتعنين سيدة اسمها غريتل ستيل؟

- نعم، الدكتورة ستيل.

اذن غريتل طبيبة مثله وزميلة... وصديقة.

كانت في السرير حين جاء موراي ليأخذ الكلب، وعندما ارجعه سمعته يسأل امها عنها وسمعت لورنا تجيب:

- انها مجهدة، اذ ما كان يجب ان تعود الى العمل بهذه السرعة. لقد حذرتها مراراً لكنها لم تقتنع.

فتناهت اليها ضحكة موراي، ثم قوله:

- يا لها من فتاة صغيرة عنيدة! لقد اكتشفت عنادها بنفسي.

غاب صوتاهما لفترة فعرفت انهما دخلا الصالون، ثم سمعت امها تقول:

- هل تود ان تراها؟

فحبست ادريان انفاسها وسمعته يجيب:

- سأراها طالما اني هنا... لا عليك، انا اعرف مكان غرفتها.

دخل باسماً وقال:

- اذن عملت واجهدت نفسك.

- كلا، اني استريح من باب الاحتياط فحسب.

www.elromancia.com

- هذه كذبة مكشوفة، وانا كنت مصيباً حين افهمتك ان شفاءك سيستغرق وقتاً اطول. نظر الى وجهها الشاحب وجس نبضها ثم رفع احد حاجبيه وقال في غموض:

- تظاهرك لا ينطلي علي. انت متعبة.

فغيرت الحديث وقالت بعفوية مصطنعة.

- اذن صديقتك السيدة آتية لزيارة قصيرة.

فضحك ثم ابتسم بخبث وقال:

- اوه، غريتل. انها سيدة وهي ايضاً صديقتي، اذن يمكن تسميتها بصديقتي السيدة.

خيم الصمت وهي تنتظر مزيداً من الافادة، لكنه لم يرد، بل قال اخيراً وهو يسير الى النافذة:

- حدثتني امك بشيء من التفصيل عن عودة الصداع اليها، فخيل الي ان احداً قد اخبرها بأني طبيب.

فأجابت تنفي التهمة في حرارة:

- ثق انها لم تعلم ذلك مني انا.

- حسن، حسن، اني اصدقك.

- وانا واثقة من ان كليفورد ايضاً لم يخبرها، لأنه اذا فعل فقد تعمد انت الى فضح سره كي تنتقم منه، اليس كذلك؟

فعاد الى حيث السرير وقال:

- اتحسبين اني وكليفورد ما نزال صغيرين لا هم لنا لا العراك الدائم وتبادل الشتائم؟ لقد كبرنا قليلاً في هذه المدة، وعلى الأقل، انا كبرت.

فردت منفعلة:

- هذه طريقة مبطنة للقول ان كليفورد لم يكبر!

اجاب مبتسماً:

- اجل، هذا ما عنيته.

لم تره بعد ذلك لعدة ايام فحسبته منهمكاً في انجاز عمله قبل وصول غريتل... تساءلت عن موعد مجيء الضيفة ولم تشأ ان تسأل كليفورد، اذ رجحت انه لن يعرف الجواب لسباحته الدائمة والعميقة في غيومه الروائية.

وبمهارة فائقة استطاعت لورنا ان تولد في ابنتها شعوراً بالذنب، حتى بدأت الفتاة تعتقد انها حرمت امها «لفعل من «حفر» في العمل لدى كليفورد. وبالتالي صارت تجهد نفسها في ارضاء لورنا اكثر من اي وقت مضى، كما لو كانت تكفر عن ذنبها وتعتذر عنه، وذلك بالرغم من السعادة الألم التي كانت تنتابها بين الحين والحين وتتطلب من لورنا عناية فائقة بابنتها وليس العكس.

كانت ادريان قد ابلغت موراي، بواسطة السيدة مسترز، انها ستتنزه الكلب بنفسها من ذلك اليوم فصاعد. ويبدو ان لرسالة جرحت شعوره اذ انقطع عن زيارتها في البيت.

وفي امسية حارة من اغسطس/ آب، كانت تسير على الدرب في اتجاه الطريق العام والكلب يتلكأ كالعادة مشمشماً الارض على مسافة منها. كانت اغصان الاشجار على جانبي الدرب تتشابك تقوس فوق رأسها، وبين الحين والحين يتردد قصف رعد بعيد مع ان شمس كانت تتسلل بتثاقل من بين الفجوات التي تحدها معها.

وفي احدى هذه اللحظات المشمسة، رأت ادريان شكلاً مألوفاً يقف عند نهاية الدرب فاشتعل قلبها لمرآه، وقد بدا انه ينتظرها اذ قال لما بلغت مكانه:

- رغبت في التمشي ففكرت في ملاقاتك... هل زرت الحقول من بعد الحادثة؟ لم تفعلي؟ اذن سنذهب معاً. واذا اجهدك السير سوف احملك كالعادة!

اجابته بكبرياء:

- لن اجهد.

فما وسعه الا ان يضحك... بلغا الدرب الموصلة الى الحقول لكن فليك تابع سيره على الطريق العام لاعتياده على ذلك في خلال الاسابيع الفائتة. فصفر له موراي واذا به يعود هاجاً بلسان متدل وذيل يهتز فرحاً لمشروع القفز في الحقول بعد حرمانه منه طويلاً.

ابتسمت له وعيناها تتوهجان كدقيقة نور ثم سألته بعد قليل:

- لم ارك مؤخراً، فهل كنت مشغولاً؟

- اذن انت افتقدتني وقد تساءلت عن ذلك... نعم، كنت مشغولاً.

www.elromancia.com

شعرت بأن صمته واحجامه عن الشرح يضعانها بحره في جهة الحاجز الاخرى.

رمقته بطرف عينها وسألت:

- هل ستعمل ايضاً في اثناء وجود غريتل؟

- لا اظن فهي ستأتي في اجازة، لكن ما غايتك من هذه الاسئلة؟ اي اعتراف تريدين سحبه مني؟

قصف الرعد فجأة فيما كانت الغيوم قد تلبدت فوق رأسيهما من دون ان يلحظاها. تلفت موراي حوله وقال:

- من الافضل ان نبحث عن ملجأ، اذ يبدو ان هناك عاصفة هوجاء تستعد للانفلات. فلنمض سريعاً قبل ان تغرقنا الأمطار.

صفّر لفليك الذي عاد خائفاً وتعيساً تحت فرقعات الرعد.

صعدا الى قطعة ارض مرتفعة فرأيا عبر الحقل بناء قد يصلح كملجأ، اذ كانت له اربعة جدران وسقف وهذا يكفيهما في الوقت الحاضر.

وبدأ المطر يتساقط بقطرات كبيرة فحثها موراي تدللا:

- هيا، انك بلا معطف وقد تغرقك المياه ان لم نحتم بالملجأ في سرعة بلغاه، وكان بلا باب فاندفعا مع الكلب الى داخله مع تدفق الامطار.

كان المكان فسيحاً يتسع للآلات الزراعية الاربع المخزونة فيه، وكان القش مبعثراً على ارضيته القاسية ولا مكان للجلوس.

اشتد انهمار المطر واقتربت العاصفة، فأحاط خصرها بذراعه وسألها:

- ايخيفك الرعد؟

فهزت رأسها نفياً وقد توردت بفعل الرقة الدافئة في صوته. راح فليك يشمشم الآلات ويحف مخالبه عليها، وفجأة لمع البرق بضوء شديد فأجفلت ادريان لا ارادياً، وحين احاطها بذراعه الاخرى تطلعت الى محياه فابتسم لها محاولاً بث ثقته فيها.

وببادرة متهورة مررت ذراعيها تحت سترته واحاطت بها خصره. لكن تعي تماماً ما تفعل وكانت تشعر فقط ان الظرف يثير فيها اندفاعاً غريباً عن طبيعتها، وان هناك رغبة غير مألوفة تتحكم فيها وتجعلها تقترب منه قدر استطاعتها.

وقفا مشتبكين في عناق يائس تقريباً، فيما التوتر يمتد بينهما الى حدود غير

محتملة... عيناه الجديتان غاصتا في عمق عينيها الملهوفتين المتساءلتين، فنسيا العاصفة ونسيا كليفورد والخطوبة وكل شيء سوى انهما رجل وامرأة متوحدان ووحيدان على جزيرة ظمأى وسط تدفق المطر.

ووصلتها همسته كهبة نسيم من اعالي الشجر:

- ماذا تريدين مني يا ادريان؟

فهزت رأسها لأنها لم تفهم حتى ما تريده هي، وخبأت وجهها في كتفه وهي تسمع ضربات قلبه تحت اذنها.

ناداها وهزها بلطف وكرر السؤال بهمس رقيق وملحاح، فرفعت رأسها وحاولت الكلام لكن النطق خانها.

قصف الرعد فما سمعته، انما سمعت موراي يقول وهو يقربها منه اكثر:

- لا تهربي مني يا حلوتي.

كيف تقاومه وهي لا تشعر الا برغبة العطاء ثم العطاء بلا مقابل؟ ضربات قلبها تملأ اذنيها وقلبها اصبح مركز كينونتها وفي وسط العناصر البدائية الثائرة في الخارج تجد في نفسها استجابة لهتاف الحب ولعواطفه الفطرية الثائرة في داخلها.

ثم ادركت من خلال غيوم العاصفة التي تلبد ذهنها ان هذه هي لحظة اتخاذ القرار، لحظة الفراق، كما لو كانت هناك خلية تنقسم ما بين حياتها القديمة والجديدة، كان عليها هي ان تقول لا او تقول نعم.

وعاد يهمس لها ملحاً:

- هل ستكونين لي يا حلوتي؟ خبريني... الآن وبسرعة.

سمعت لهاث كلبها المتنظم وهو يضطجع نائماً في الزاوية، وبدا لها القرار المصيري كصفاء الأرض قبل المطر... فكل ما تربت عليه، وكل قناعاتها الخاصة وكل قواها المنطقية، صوتت بخطتها ضد كلمة: «نعم». لا، لن تدعه يمتلكها هكذا وبدون كلمة حب واحدة.

لقد سألها، «ماذا تريدين مني؟» توردت خجلاً من مدلول السؤال. كانت ستكون ملكه لو اذعنت، وكان سيأخذها من اخيه الى الابد، وهو ما ابتغى الا هذا من خلال همساته وتقرباته!

ادرك موراي جوابها قبل ان تعطيه، فتقلص جسمه وتوحش فمه قبل ان يبتعد عنها. فهمست تتوسل:

www.elromancia.com

- كليفورد يحتاجني ولا يسعني ان اخلي عنه . . . يجب ان تفهم هذا.

ثم اشتدت نبرات صوتها وهي تتهمه قائلة:

- اعرف لماذا اغريتني، لأنك حقود وتكرهه الى درجة لم تكن لتتورع فيها عن تجريده من كل شيء، حتى عن اخذي منه كي لا انسى ما جرى . . . ومهما قد يحصل بيني وبين كليفورد بعد الزواج . . . انك كنت اول رجل يمتلكني . . . يا لهذا الانتصار الذي كنت ستفرح به، يا له من انتصار دنيء تعيس!

انحنى رأسها حتى لامس ركبتيها، فوقف يعلو عليها كما المارد وزمجر قائلاً:

- وهكذا انتصر . . . للمرة الثانية انتصر كليفورد . . . لقد عرف كيف يختار فتاته اليس كذلك؟ الفتاة المخلصة، المطيعة التي تضحي وتعتز بتضحياتها!

كلماته وقعت عليها كحصى تقذفها يد شرسة بكل قوتها . . . اخذ ينظر اليها من فوق بازدراء واحتقار، وقلب الطاولة عليها بقوله:

- اني لاتساءل، ماذا كنت تحاولين ان تفعلي؟ ان تتحدي لك حبيباً قبل ان تلبسي خاتم الزواج؟

- كف عن اهانتي وعن التلميح بأني رخيصة . . .

لم تجبه على سؤاله لأنه ما كان بحاجة فعلية الى جواب، وبدلاً من ذلك اتهمته في عنف لم تستطع ضبطه:

- منذ عرفتك وانت تسعى الى ايقاظي، بقسوة وتعمد، انا اعرف لماذا، بما انك تعرف كره اخيك لأمور كهذه فقد فعلت ذلك لتضمن ضماناً تاماً، شعوري بالحرمان بعد زواجي منه، وهكذا رحت تبين لي الاشياء التي سأفتقدها.

- يا لفطنتك وذكائك! بالطبع سعيت الى ايقاظك - على حد تعبيرك - فبأي طريقة اخرى كنت ستتمكن من انتشالك من براءتك وسذاجتك الفطرية وجهلك المحزن لمتطلبات الزواج الحقيقي؟

وتابع يقول بوحشية:

- ولم التق في حياتي فتاة اكثر منك خفة واستعداداً لأن توقظ.

ابتسم احتقاراً للغضب الذي اثارته كلماته فيها، واكمل ساخراً:

- وهل تعتقدين انك سوف تستغني عن الحب وانك لن تكوني بحاجة اليه؟ صدقيني يا حلوتي، انك تمتلكين من العواطف الكامنة ما تعجز الكثيرات عن امتلاكه وهذا ما تحققت منه بنفسي . . . والآن، خبريني، ماذا ستفعلين بتلك العواطف عندما تتزوجين اخي؟ دعيني اخبرك انا، سوف تدفنينها تحت الارض، ستخبئينها في مخزن ذهنك حتى يأتي يوم تنفجر فيه كقنبلة موقوتة مدمرة، فتنسف عالمك الصغير المتماسك حتى يصبح كدسة من الركام المشوه. لكن قبل ان يحصل ذلك - اتكلم فقط كطبيب - سأريك لمحة مسبقة عما سيكون عليه مستقبلك، سأعطيك خلاصة لما سيحدث بعد مرور سنة او اقل على حياتك مع اخي.

وقف في فتحة الزريبة فسد بقامته ما بقي من ضوء النهار، واردف قائلاً:

- لا تتوقعي ان احضر زفافك، سأبذل قصارى جهدي الا اقترب منك لمدة طويلة من الزمن. اولاها ظهره واخذ يتطلع الى المطر، فقالت بصوت رفيع وغير مألوف:

- لا يمكنك ان تخرج تحت المطر.

ثم اردفت وهي تنشج متوسلة:

- لا يمكنك ان تتركني هنا لوحدي.

- حقاً؟

رفع ياقة سترته ودس يديه في جيوبه ثم خرج الى المطر المتدفق.

www.elromancia.com

١٠ - نزيف الظلال

في الصباح التالي، وفي طريقها الى العمل، حدثت نفسها بأنها لن تضطر لرؤية موراي لانه سيتعمد الابتعاد عنها. لكنه حين غادرت غرفة كليفورد بعد ان املى عليها صفحات جديدة، ضبطها موراي على الدرج، وناولها مقود فليك دون ان ينطق بكلمة... شكرته بشفتين متيبستين، فاحتواها بنظرة باردة مهينة وقال بصوت فاتر:

- هل وصلت البيت بخير؟

- نعم، شكراً.

فأومأ برأسه وعاد الى غرفته مغلقاً الباب بقوة. فتابعت هبوط الدرج فيما اخذت زخارف السجادة تمتزج وتتموج تحت دعساتها على كل درجة... دخلت الكوخ وجلست امام الآلة الكاتبة تحدق الى مفاتيحها وشفتاها

ترتجفان. لا يجب ان تسمح لدموعها بالانهمار، فأمه سترى آثار البكاء على وجهها ولن تطيق ما سيلحق ذلك من استجواب.

وصلت غريتل ستيل في اليوم التالي وسمعت ادريان صوتها قبل ان تراها. كان خافتاً لطيفاً وضحكتها دافئة كشخصيتها... هكذا فكرت ادريان والغيرة تسحقها... وفي وقت لاحق التقت صدفة في الردهة فعرفها موراي الى بعضهما.

كانت غريتل بنية الشعر وجذابة، ذات عينين صريحتين ودودتين، وتصرفات تنضح بسحر عفوي. لقد حبها موري في باكورة شبابها، واكيد انه ما يزال يحبها لكونه لم يتزوج... اما الآن وقد عادت حريتها اليها، فمن المؤكد انهما سيكللان حبهما يوماً بالزواج.

نظرت غريتل الى ادريان متسائلة، ولمحظة التقت عيناها بعيني موراي فاعتراها الرد بصمت كما لو انها تبادلا سؤالاً وجواباً نفطيين... فقالت ادريان في نفسها: «انهما متناغمان، ويفسران فكر بعضهما كما يفعل المحبون».

وقالت غريتل:

- ها انا التقي اخيراً خطيبة كليفورد. متى موعد الزفاف؟

ثم التفتت الى موراي باسمة وسألته:

- أتظن اننا سندعى اليه؟

فسارعت لادريان تغطي الصمت لتحرج بقولها:

- ليس قريباً يا دكتورة ستيل... بل بعد بضعة اشهر على الارجح.

- الا تعرفين الموعد؟ كنت احسب ان الخطيبات لا يحصين الأيام فقط بل الساعات ايضاً. هكذا فعلت انا.

فغمغم موراي بجفاف وهو يقودها بعيداً:

- لم تتعرفي الى كليفورد، ان لقاءه متعة... حين يقرر النهوض من الفراش.

فضحكت غريتل وقالت لادريان من فوق كتفها:

- ارجوك، ناديني غريتل يا عزيزتي وانا سأناديك ادريان.

فابتسمت لها الفتاة شاكرة.

وذات صباح التقت بموراي على الدرج بمفرده. تطلعت اليه وعيناها

www.elromancia.com

تناشدانه ان يكلمها كما كان يفعل سابقاً، وان ينظر اليها بدفء وليس بذلك الخواء، وكأنه لا يعرفها... بادها تحديقها بنظرة بعيدة منعزلة وعيناه الباردتان كالموت تصدانها من عمق العداء البادي فيهما... ارتجفت شفتها حتى اضطرت للضغط عليها بظاهر يدها لتوقف ارتجافها.

وقبيل موعد انصرافها في آخر النهار، قال لها كليفورد وهو يريها بطاقة دعوة:

- انها من صديقي القديم اوغسطوس تشارلز يدعون فيها الى امسيته الادبية. وكما سترين انه يوجه دعوة خاصة الى «سكرتيرته الصغيرة الحلوة».. يبدو انك احدثت لديه انطباعاً جيداً.

ففكرت ادريان في اسى: «هذه عبارة بسيطة بالنسبة الى حقيقة الانطباع الذي اخذه عني ذلك الرجل».

وتابع خطيبها يقول:

- هناك مقطع في الرسالة لا افهمه تماماً، فهو يدعو «صديقك ايضاً» فمن يقصد يا ترى ما دام لا يعلم شيئاً عن خطوبتنا؟

شعرت بحرج وشرحت بقولها ان اوغسطوس كان التقاها في مهرجان القرية، ولكونه رآها مع موراي فلا بد انه افترض ان موراي خطيبها.

فعبس كليفورد وسألها:

- وهل افهمه موراي خطأه؟

فاجابت في ارتباك:

- ليس تماماً. اعتقد ان موراي لم يشأ ان يأتمن اوغسطوس على السر، فخطوبتنا لم تعلن رسمياً كما تعلم، ولم نعرف وقتها اذا كنت ترغب في اعلانها... انا لغاية الآن لا اعرف موقفك.

فأخذ يدها في يده واجاب:

- ادريان، هل تريدينا ان نعلنها؟ اذا كانت هذه رغبتك يا عزيزتي... وانت على كل حال تلبسين خاتمي.

اومأت برأسها. لا يسعها ان تفعل اي شيء آخر، ومتى شاع الخبر سيرتفع بينها وبين موراي جدار اعلى من الأول... اليس هذا ما تبتغيه هي؟ حجر صلب فوق حجر، وسوف يرتفع الجدار حتى يأتي يوم ستعجز فيه عن رؤية موراي تماماً... وحين تعزز الخطوبة باعلان رسمي فقد

لتتمكن مع الوقت من نسيانه كلياً.

وصلا الحفلة متأخرين، وكانت غرفة الاستقبال المزخرفة التصميم تغص بالمدعوين. ولدى دخول ادريان وكليفورد رفع الضيوف انظارهم وكأنهم سروا لرؤية شيء جديد، فالمثل كان قد خيم كالغبار على وجوه بعض الحاضرين القدامى الذين ادمنوا هذه التجمعات على مر السنين.

سرحت بصرها تبحث بعصبية عن مضيفها فرأته يتحدث مع احد الضيوف. احد الجالسين على الاريكة افسح لها مكاناً من المفروض ان يتحشرا فيه، فاستطاعا الانحشار بشكل ما. وبدل ان يضع كليفورد ذراعه حولها ليسهل الأمور فقد شبك يديه ووضعهما بين ركبتيه، معطياً الانطباع بأنه كان يقلص جسمه قدر المستطاع...

وفكرت ادريان: «انه يبدو سخيفاً بعض الشيء». واستغربت عدم اخلاصها الفجائي له.

ودخل موراي وخلفه غريتل وسرعان ما وجدت عيناه الحادتان مكانهما. لاحظ جلسة اخيه المحشورة وفسرها على ما يبدو كرغبة من كليفورد في الابتعاد عن ادريان بقدر المستطاع. فابتسم ساخراً مما جعل ادريان تتورد غضباً.

نهض احد الضيوف من مقعده الوثير ودعا غريتل بشهامة الى الجلوس عليه فقبلت بابتسامة مهذبة وجلس موراي فوراً على ذراع المقعد.

ثم فتح البلهب وران سكوت مترقب اقتحمته ديزيريه تشارترز بدخولها. كان لباسها صاعقاً ثار شهيقاً عند النساء وصفير اعجاب من جانب الرجال... كان القماش اسود اللون يلتمع بتخريجات اضيفت اليه في براعة، وكان الرداء من قطعتين، الجزء الأعلى بلا كمين والثاني تنورة طويلة ضيقة. ويفصل بينهما خصرها المكشوف.

جرفت عيناها البنيتان وجوه المجتمعين واستوعبتا اعجاب الرجال وعدائية الزوجات الغيورات، ثم التقطتا وجه موراي فأخذتا تنهشانه كعصفور ينقد قطعة خبز.

فانحنى على غريتل وهمس لها شيئاً جعلها تضحك وتجيبه بهمسة مماثلة، ثم القى ذراعه على كتفيها، وابتسم بترقب ماكر وهو يراقب ديزيريه تتقدم نحوه وجسمها يتمايل باغراء لتحظى باعجابه.

www.elromancia.com

لم تقدر ادريان ان تسمع كلمات التعريف، لكن استناداً الى العبوس الذي قطب حاجبي ديزيريه للحظة عابرة، خمنت ان موراي قد عرف غريتل على انها خطيبته.

لكن ديزيريه لم تبد من النوع الذي يذوي امام المنافسة بل من النوع الذي يزدهر من خلالها... فعلى الرغم من ان ذراع موراي قربت غريتل اليه بقدر ما سمح له المقعد، الا ان ذلك لم يفت في عضد ديزيريه التي تكورت على الأرض عند قدميه لتجيد التحديق اليه بتسق مدروس.

وراقبت ادريان المشهد والغيرة تنهشها... امرأتان رهن اشارته وكلتاهما ترنوان اليه بحب وولّه، فحتى غريتل كانت تتأمل وجهه بشغف متفان، فيما بدا موراي متنعماً باعجابهما وعلى فمه ابتسامة معتدّة.

وللحظات قصيرة سمح لبصره ان يستقر على ادريان شامتاً، ولما تأكد من مدى غيرتها، اشاح عنها وعاد يركز نظره على المرأتين اللتين كانتا تقدمان له الولاء في صمت.

فاقتلعت ادريان نظرها منهم وادارته باهتمام ضار الى اللوحات على الجدران، وفكرت بحسد ان موراي يستمتع حتماً بذلك والا لما كان من البشر...

ثم حجب اوغسطوس عنها رؤية اللوحات التي كانت تدرسها بعين ناقد فني...

وانحنى صوب ادريان يقول لها بصوت جهيم:

- هل تعجبك السهرة يا فتاتي؟ آسف، لقد نسيت اسمك، لكن لا عليك، فأنت بالنسبة الي دائماً «السكرتيرة العصفورة».

اهداها غمزة ذات معنى وابتسم لكليفورد وعاد يسألها:

- هل اعجبتك لوحاتي؟

ثم قبض على كتفها وسحبها من الاريكة دافعاً اياها باتجاه الجدار وهو يقول:

- تأمليها عن قرب يا عزيزتي واعطيني رأيك فيها.

فنظرت الى كليفورد مستنجدة لكن توسلها ذهب سدى. اذ كان يعبس لها متهماً، كما لو كانت هي المخطئة. واستمر اوغسطوس يدفعها من كتفها الى الامام ولكن احد الضيوف ناداه فترك ادريان وشأنها.

لم تجد شيئاً افضل تفعله فوقفت امام احدى اللوحات تحدق اليها وهي لا تفهم لها رأساً من كعب. احست بشخص يقف الى جانبها ويلمس يدها فقفزت لظنها انه اوغسطوس، لكنه كان موراي وكان هو ايضاً يتفحص الألوان الفوضوية المحاطة باطار مزخرف مذهب، لكن ذهنه كان شارداً... وغمغم قائلاً:

- ابقي الى جانب كليفورد كي لا يفرط في الأكل والشراب.

فغضبت من لهجته الآمرة واجابت:

- وهل انا مسؤولة عن كل شيء يفعله؟

فاستدار ينظر اليها بعينين باردتين متهمتين وقال:

- وكيف لا تكونين مسؤولة وانت ستصبحين زوجته؟ اعتقد انه سبب كاف لتهتمي بامره.

- لكنه لا يصغي الي.

فضاقت عيناه وهو يجيب:

- هذه بداية سيئة لأي زواج. في اي حال، انا اشك في دقة كلامك وأميل الى الاعتقاد بانك تتهربين من المسؤولية.

- لا افهم لماذا انت قلق الى هذا الحد!

فابتسم متهكماً واجابها:

- ما بك تتلوين كطعم حي؟ لا تخافي، اخبريه ان الافراط يضر قلبه فيمتثل فوراً.

- اخبره ذلك بنفسك، فانت الطبيب.

ابتعد عنها بعدما رمقها بنظرة مزدرية جعلتها تتمنى لو ان الارض تنشق وتبتلعها، ولاحقته ببصرها وهو يعود الى مكانه قرب غريتل.

ثم شعرت بذراع تلتف حول عنقها وتكاد تخنقها... وقال لها اوغسطوس بصوت متعثر وقريب من اذنها:

- هل تشاجرت مع صديقك الشاب؟

فتساءلت عما اذا سمع الحوار اللاسع بينها وبين موراي. انما اتضح انه كان يرمي الى شيء آخر اذ اردف يقول مشيراً اليه:

- اقصد انه يجلس هنا محاطاً بالاناث وانت هنا محاطة بي.

ضحك لنكتته وتابع يقول:

www.elromancia.com

- لكن الخاتم ما يزال حول اصبعك وهذا يعني فقط انكما تخاصمتما، وكان سيجعل من سكرتيرتي الصغيرة امرأة شريفة.

فدفعها الغضب الى ان تقول بلا تفكير:

- انا لست مخطوبة اليه!

فأبعد عينيه الزائغتين مسافة اصبعين وقال:

- حقاً؟ اذن من هو الرجل المحظوظ؟

فنظرت تلقائياً الى كليفورد وهكذا كشفت اللعبة لاوغسطوس الذي فسر نظرتها بذكاء، فهتف:

- اتقصدينه هو؟ كليفورد دينينغ؟

انفجر ضاحكاً فجذب انتباه كل الحاضرين.

وسرعان ما تألقت عيونهم وكأنها تسأل، هل هذا هو «الشيء» الذي كنا ننتظر حدوثه ليعتقنا من الملل ومن رتابة هذه الامسيات الادبية المتشابهة في كل اجتماع؟

اعلن اوغسطوس:

- اصغوا الي جميعاً.

وكان كل واحد منهم قد ارهف اذنيه قبل ان يتكلم، وتابع يقول:

- هناك شخصان ماكران في وسطنا، هناك خطوبة سرية... فزميلنا القديم المبجل، كليفورد دينينغ، قد اصبح لديه امرأة!

كانت كلماته تختلط ببعضها البعض، وكان يرفع ذراع ادريان عالياً كحكم يرفع يد ملاكم بطل. وانهى اعلانه بقوله:

- سوف يتزوج سكرتيرته الصغيرة الصغيرة. صديقنا كليفورد قد خطب!

لاقى اعلانه تصفيقاً حاراً مصحوباً بتهان مثقفة... «برافو ايها الصديق القديم»... «تهانينا ايها الزميل العزيز...».

فتورد وجه كليفورد بلون قرمزي لشدة حرجه، وبدا انه ينكمش تحت وابل التمنيات الطيبة، ثم وقف بحيرة وعصبية وقال:

- كنت... كنت على وشك...

كان واضحاً انه يجد صعوبة في تجميع افكاره، وبدا ككلب مزرعة يحاول السيطرة على خراف غبية لا تطيعه... وتابع:

- كنت سأعلن خطوبتي رسمياً هذا المساء، ولكن يبدو ان صديقي العزيز والغالي اوغسطوس قد سبقني الى هذا الامتياز.

ابتسم في وهن، فاسترقت ادريان النظر الى موراي وسرعان ما اشاحت عنه اذ كان يبتسم بقسوة وهو يمسك بيد غريتل وكأن حياته محصورة فيها. اما ديزريه، فقد لاحظت ادريان قبل ان تزيح بصرها انها تضع يدها على ركبة موراي.

وتابع كليفورد يقول وهو يحدق حوله مرتعباً كما لو انه رهينة لدى عصابة من المجرمين:

- ان مضيفنا المبجل قد تكرم وناب عني في اعلانها.

ثم ارتمى جالساً على الاريكة واخذ يجفف جبينه وكأنه القى خطاباً طويلاً... لكن ورطته لم تنته عند هذا الحد، اذ ان ذراع اوغسطوس القابضة على ظهر ادريان دفعتها بخشونة صوب خطيبها، وقال صاحب الذراع لكليفورد:

- عانقها! اني اطالب بعناق يمهر هذا الرباط! هيا، انهض ودعنا نرى مهارتك.

لكن طبيعة كليفورد المنكمشة عجزت عن تلبية طلب الجمهور الذي راح ينتظره لاهثاً كقطيع من الكلاب الجائعة.

عندها قرر اوغسطوس ان لا يجيب رجاء الحضور، فدفع ادريان واجلسها لصق خطيبها وقال:

- عانقيه انت يا فتاتي.

الا انها جلست جامدة كالدمية ومرعوبة مما سيأتي.

فارتفع صوت موراي يهيب بأخيه متهكماً:

- هيا يا اخي، اثبت لهم معدنك، ارهم انك رجل!

شعر كليفورد بسخرية اخيه اللاسعة وبتحديه له فقبض على ادريان وعانقها.

تململت ادريان ثم سكنت وتحملت العناق بقرف متزايد وما استطاعت بحال ان تتجاوب معه... علت ضحكات الحاضرين وهتافاتهم الحماسية فخيل اليها انهم يسخرون منها... لم تتحمل ذلك فأخذت تفلت نفسها من بين ذراعيه حتى ارخاها، وكان وجهه متورداً بفعل الاجهاد وعيناه

www.elromancia.com

تنظران الى موراي بانتصار!

فتهدلت وهي تحس الحياة تتسرب منها، فهتف بعض الحضور:

- لقد جدتها ايها الصديق! يا لك من ثعلب!

ثم خمدت الضحكات وعاد المدعوون الى الثرثرة... ادار احدهم اسطوانة موسيقية واخلى شخص آخر الارض من السجاد، وهتف اوغسطوس:

- هذا احتفال بالخطوبة، فهيا الى الرقص!

امتدت السهرة الى ما بعد منتصف الليل بقليل ثم انتهت فجأة. سبقهما موراي وغريتل في الخروج دون ان يلقي عليها نظرة واحدة، وكأنه قد نسي وجودهما.

كان الجو معتدلاً لكن ادريان ارتجفت فغرزت معطفها على كتفيها. جلست على المقعد الامامي الى جوار خطيبها في السيارة واغمضت عينيها... الحفلة فشلت فشلاً ذريعاً واعلان خطوبتهما كان مهزلة! كان كليفورد منعزلاً عنها مع افكاره فلم تكلمه.

ثم احست السيارة تبطىء ففتحت عينيها وسألت:

- ماذا حدث؟ اننا لم نصل البيت حتى؟

فغمغم خطيبها مجيباً:

- هناك شخص يلوح لنا بالوقوف. يبدو انه في مشكلة.

فحدقت ادريان في الظلام عبر زجاج السيارة والتقط مصباحها الأماميان شكل رجل يقف في عرض الطريق وهو يفرد ذراعيه وساقيه ليرغمها على التوقف.

- لا تتوقف! انه ذلك الرجل! هيا يا كليفورد، تابع القيادة فوراً!

لكنه اوقف السيارة وسألها في هدوء:

- اي رجل؟ يا عزيزتي، من الواضح انه شخص يعاني مشكلة.

ثم انزل زجاج نافذته وخاطبه قائلاً:

- ما الأمر؟

فهتفت ادريان بصوت ابح:

- تابع القيادة يا كليفورد... انه ذلك الرجل... الرجل الذي تلصص علي من نافذة الكوخ.

رأته يقطب حائراً فتذكرت انه لم يعلم بالحادثة، فقالت والكلمات تكاد تخنقها:

- الرجل الذي كان يتسكع لأشهر في القرية... انه قد يقتلنا يا كليفورد!

- لا تكوني هستيرية يا عزيزتي.

تقدم الرجل صوب ادريان وكان يحمل في يده شيئاً، ولما رفعه تبين لها انه قالب قرميد. ثم راح يرجرج قبضة الباب وصرخ في ادريان:

- افتحي هذا الباب!

بدا القلق على كليفورد وقال مغمغماً:

- انه مجنون!

فردت شاهقة:

- هذا ما قلته لك يا كليفورد... لماذا لم تصغ الي؟

- افتحي الباب والا حطمت الزجاج.

فصرخت:

- لا! امض بسرعة يا كليفورد!

لكن خطيبها كان كالمشلول.

ثم تحطم الزجاج بضربة واحدة، وغطت قطعه المتناثرة جسم ادريان... امتدت يد الرجل عبر الفتحة وقبضت على رسغها، فسقط المعطف من حول كتفيها وانجذبت ذراعها خلال الزجاج المكسور بعنف شديد جعلها تصرخ. ولما حاولت جذب ذراعها منه انغرزت حفافي الزجاج في لحمها بعمق فأحست الماً رهيباً يمزق ذراعها وصرخت مجدداً. كانت مغطاة بالدم، لكن الرجل لم يكتف بهذا، فقد مرر يده الى داخل السيارة وفتح الباب ثم اخذ يجذبها الى الطريق. فصرخت:

- كليفورد! ساعدني! ساعدني!

بيد انه لم يتحرك وسمعته يهمس:

- لا اقدر يا عزيزتي... انه قلبي واخشى ان يقتلني.

اخرجها الرجل والقاها على حافة الطريق المعشوشبة ثم احنى رأسه فوقها، فرأت في ضوء السيارة كم كان وجهه شريراً!

وفجأة سمعت زعقة فرامل ثم صرخة وسلسلة من الضربات انهالت

www.elromancia.com

على ظهر الرجل ورأت يداً تشد شعره ثم ارتفع صوت غريب يأمره قائلاً:

- اطلق سراح الفتاة.

فتراجعت قبضة الرجل وجر نفسه حتى وقف ثم سدد ضربة هوجاء الى وجه منقذها وانطلق يركض على الطريق وبعيداً عن القرية.

ساعدها الرجل الثاني على النهوض وقال بسرعة:

- انت بحاجة الى طبيب يا آنسة فذراعك في حال سيئة.

ثم ساعدها على صعود السيارة ودار حولها الى ناحية كليفورد وقال له:

- يؤسفني ان اسألك يا سيدي، الم تقدر ان ترى حاجة تلك الفتاة الى المساعدة؟

فهمس كليفورد مجيباً:

- اعرف، اعرف، لكني مريض بالقلب فلم استطع فعل شيء.

بدت الحيرة على وجه الرجل وفرك مؤخرة عنقه، ثم انفجر وهو يحاول جهده ان لا يكون وقحاً:

- حتى لو كنت مريضاً يا سيدي، كان من الجائز ان يقتلها!

فهز كليفورد رأسه عاجزاً وكانت عيناه شاخصتين وشفتاه ترتجفان. اما ادريان فقد ابيض وجهها من هول الصدمة. وحاولت بعجز ان توقف النزف من جرحها بمنديلها، وتساءلت عما اذا كان كليفورد قادراً على متابعة القيادة الى البيت.

وحثه الرجل قائلاً:

- خذها الى المستشفى يا سيدي ثم خابر البوليس فذلك الرجل مجرم خطير.

فابيض وجه كليفورد الى اقصى حد وهتف:

- البوليس؟ لا، لا بوليس ولا مستشفى، سآخذها الى بيتي فأخي طبيب وسيهتم بامرها.

ثم ادار محرك السيارة فوعت ادريان انهما لم يشكرا الرجل على مساعدته... غمغمت شكرها في بضع كلمات وشعرت كم كانت ضئيلة بالنسبة الى عونه الكبير. فحاولت مرة ثانية لكنه منعها من ذلك وقال قبل ان يصعد الى سيارته ويمضي:

- ما فعلت شيئاً يستحق الشكر يا آنسة، لكن يجب ان تعالجي جرحك بسرعة.

التزم كليفورد الصمت والتحف بافكاره الخاصة فاغمضت عينيها، جاهدت لتمنع نفسها من تذكر تفاصيل الحادثة، الا ان الرعب كان يلاحقها. وفي الاخير، ولتطرد خوفها، سألت خطيبها:

- لماذا لا تأخذني الى المستشفى؟ اني افضل الذهاب اليه لئلا ازعج موراي.

- لا، لا يا عزيزتي. اذا اخذتك الى مستشفى سأضطر للدخول معك حيث لن اتحمل الضغط، تعبئة اوراق الدخول والاسئلة والانتظار... يجب ان تتذكري حالتي الصحية.

فتغلبت على ضيقها وقالت في تعب:

- اذن كان يمكنك على الاقل ان تخابر البوليس كي تحمي اناساً آخرين، وهذا اضعف الايمان.

- البوليس؟ كيف يمكنني ذلك؟ فكري في الدعاية حيث سينكشف اسمي المستعار لا محالة... لن اسمح لذلك بان يحدث... فكري بالعواقب...

اية عواقب؟ ودت لو تسأله ... هبوط سمعته في اعين اصدقائه وزملائه؟ حتى لو حدث هذا فهل سيكون مهماً الى هذا الحد؟ صدمتها انانيته ومذهبه المؤمن بذاتيته المطلقة فاخلدت الى الصمت منذهلة

دخل بالسيارة الى المرآب وتمتم قائلاً:

- موراي عاد الى البيت والحمد لله.

ثم ساعدها على الهبوط ودخول البيت.

كانت غريتل في البهو وحالما وقع بصرها على ادريان صرخت تنادي موراي الذي احس بالالحاح في نبرتها فهبط الدرج في لحظات، ثم شحب لونه وهتف:

- يا الهي! ماذا حدث؟

تهاوى كليفورد على مقعد قريب واخفى رأسه بين يديه فادركت ادريان انه لن يرجى منه نفع. وهكذا روت الحادثة لموراي بنفسها وبكلمات متعثرة.

فألقى نظرة على ذراعها ثم رفع حاجبيه الى غريتل.

فاومأت غريتل وسألته:

- مستشفى؟

لكنه اجابها:

- ليس هناك وقت. نزفت كثيراً لغاية الآن... سأقوم بالمهمة.

ثم نظر بشيء كالقرف الى اخيه المتهاوي وقال لها:

- سأترك امر العناية به لك انت. اعتقد انه يعاني فقط من الصدمة وانت تعرفين كيفية علاجها.

فاومأت غريتل برأسها وقادت كليفورد الى غرفة الاستقبال.

وقال موراي للفتاة باختصار:

- الى الطابق العلوي يا ادريان.

حاولت ان تصعد الدرج لكنه غرفها بذراعيه وحملها الى فوق، فغمغمت وهي تبعد رأسها الى خلف:

- ثوبي مغمس بالدم وقد يلطخ ثيابك.

فلم يجبها وادخلها غرفته ووضعها على السرير ثم قال:

- من الأفضل ان تنزعي فستانك.

نظرت اليه وعيناها تتسعان وتتوهجان في وجهها الشاحب، فقال:

- يا الهي! هذا ليس وقت الخجل يا فتاة! انزعي فستانك!

فعلت ذلك بصعوبة واجفلت الما حين حف القماش على جرحها فساعدها على رفعه من حول رأسها وقذفه خارج الباب. ثم قادها الى الحمام حيث طهر الجرح برقة فائقة.

عادا الى الغرفة فجلست على السرير زائغة وراحت تراقبه وهو يفتح حقيبته الطبية، فسألته بصعوبة بسبب شفتيها المتقلصتين بفعل الارهاق والصدمة:

- هل تحملها معك الى كل مكان؟

- اجل، فلكوني طبيباً لا يمكنني الاستغناء عنها تحسباً للطوارىء.

وحين شرع يقطب الجرح حذرها قائلاً:

- هذا سوف يؤلمك يا ادريان. فهل يمكنك تحمل الالم؟

فاومأت وصرت على اسنانها، لكن هذا الالم الذي توج احداث الليلة الموجعة فاق قدرتها على الاحتمال، فصرخت وبحثت عن شيء تتمسك به

فما وجدت الا سترته، لكنها خشيت ان يمتعض من ذلك فسحبت يدها... فقال لها بخشونة:

- تمسكي بي. انك لن تضايقيني. لقد اظهرت شجاعة كبيرة.

شجعتها لهجته اللطيفة فتمسكت بسترته ثانية وعضت شفتها، ثم اسندت رأسها على ذراعها الاخرى.

اعاد اغراضه الى الحقيبة وقال:

- خبريني عن الدور الذي لعبه كليفورد في انقاذك.

فهزت رأسها وهي تأمل ان تبعده عن الحقيقة وقالت في خور:

- ما كانت هناك حاجة لمساعدته... جاء رجل آخر... كان يقود سيارة.

الا انه بدا مصمماً على سحب الحقيقة منها، فسألها:

- هل تراك تخبرينني بطريقة ملتوية ان اخي لم يفعل شيئاً بل جلس هناك يراقبك وانت تتعرضين لاعتداء او ربما لقتل؟ ما بك تسكتين؟

فهمست:

- انه قلبه... قال انه قد يتسبب في موته اذا هو حاول صد الرجل.

فنطق شتيمة رهيبة اجفلتها، وقال من بين اسنانه:

- وهل تقصدين القول انك ما زلت عازمة على الزواج من رجل جبان الى هذا الحد؟

لم ترد، فهدر قائلاً:

- اذن انت تستحقي كل ما سيحل بك! كل بلية من البلايا التي ستحيق بك بسبب عنادك!

تجمعت دموعها وانسكبت على خديها فمدت ذراعيها وهمست:

- موراي، ارجوك يا موراي...

لكنه لم يتحرك.

نهضت وسارت صوبه تنتحب وتتعثر... ومن دون ان تستطيع السيطرة الكاملة على تصرفاتها، دست ذراعيها تحت سترته واحاطت بهما خصره كما فعلت في تلك الليلة العاصفة. ثم الصقت خدها بكتفه وكأنها تحاول انتزاع بعض الحنان من قلبه، ونقل شيء من قوته الى جسمها المرتجف، واخذت تردد اسمه المرة تلو المرة وهي تبكي.

www.elromancia.com

وقف جامداً لبضع دقائق متحملاً التصاقها به، ثم وكأنه ما عاد قادراً على التحمل... فك يديها المشبوكتين خلف ظهره ووضعهما على السرير بمزيج من الرقة المهنية والخشونة.

كان يرتجف هو الآخر، انما ليس بدافع عاطفي بل بدافع غضب لاهب استبد به وجعله يقول:

ـ لن اسمح لك باستغلالي بعد اليوم! ان كنت تريدين العطف والراحة والحب فخذيها منه وليس مني.

تشابكت نظراتهما وتلاحمت. عيناه غاضبتان وعيناها تتعذبان... وفي بادرة استنجاد اخير ويائس فتحت كفيها تتوسل اليه ولما بقي جامدا كالصخر تهاوت على وسادته وسط عاصفة من الدموع.

هدها البكاء والألم والشقاء، واحتبس النحيب مرارا في حلقها حتى كاد يخنقها، فكان جوابه الوحيد ابتعاده عنها. ثم خرج وتركها وحيدة كما لو ان استعراضها العاطفي كان يدفعه الى الجنون.

١١ـ نهاية بلا بداية

كادت وحشة الهجران تجنّنها فاخذت تهمس اسمه بين نشيج وآخر وتغرق وسادته بدموعها... وفكرت بينها وبين نفسها، انه ما كان بحاجة لأن يمتلكها، في تلك الليلة العاصفة، فهي له مدى الحياة... أجل، فالآن ادركت انها نضجت، وانها تخطّت كليفورد الى حد لا يمكنها فيه ان تفكر بالزواج منه ولا حتى في الخيال.

وسواء أرادها موراي ام رفضها فهي له الى الأبد، واي رجل آخر لن يأخذ ابداً مكانته في نفسها وقلبها. والغريب ان هذا الادراك بدا مسكناً لثورتها، فخمد بكاؤها وتوقف نشيجها واستلقت على السرير بارتخاء.

وعندما عاد موراي كانت ما تزال مستلقية على السرير، ويبدو انه حسبها نائمة اذ سار الى الباب في هدوء لئلا يوقظها، الا انها تحركت

www.elromancia.com

وجلست في السرير.

غمغمت وهي تزيح شعرها عن وجهها:

- آسفة، فقد بللت لك وسادتك.

- لا عليك، سأحملها كما تحملت من قبل وسائد معمدة بأشياء أسوأ بكثير من الدموع.

كان يقصد بعث الراحة في نفسها الا ان عبارته زادتها تعاسة اذ ألمحت الى عالم خاص به لا تعرف عنه شيئاً.

رحبت بالظلام في خلال عودتها الى بيتها بسيارته. أدارت رأسها بعيداً عنه وأسندت خدها على جلد المقعد. ثم ارتفعت نصيحته الحاسمة في الظلام:

- عليك ان تلزمي الفراش يوماً او يومين اذ يبدو ان الحادثة سحقتك لأكثر من سبب... ربما تعلّمت الآن درساً وأدركت ان حي رجل عديم الضمير.

ارتجفت شفتاها لعنفه وظهر الارتجاف في صوتها وهي تجيب:

- ما كان الأمر هكذا... انك لم تكن هناك لتفهم ملابسات الحادثة... ذلك الرجل كان مجنوناً... ظننت... بالفعل... اني سأموت.

فغطى يدها للحظة بيده وأجاب بصوت أجش:

- حسن، اني افهم اكثر بكثير مما تظنين.

فاستدار رأسها كالسهم وسألته في حرارة:

- موراي، اذن لماذا...

وكانت ستسأله، اذن لماذا تعاملني هكذا؟ ولكن كيف تطرح سؤالاً من هذا النوع وهي ترى جانب وجهه المتصلب وكأنه منحوت من الصخر؟ لقد أذلّها الليلة بما فيه الكفاية ولن تعطيه فرصة اخرى لاذلالها اكثر.

ظل صامتاً بالرغم من انها لم تكمل سؤالها ثم قال بعد برهة:

- هل يمكنك ان تواجهي امك بمفردك؟

أمها! لقد نسيت وجوب التفسير والتذمرات التي تنتظرها على عتبة البيت، والصدمة التي ستنتاب امها حين تراها على هذا الشكل، لكنها اجابته بقولها:

- نعم، اشكرك.

حدثت الصدمة التي توقعتها... والتأوهات! ثم انهمرت عليها الاسئلة وكان عليها ان تبذل أقصى جهدها لحماية كليفورد من الانتقاد الأكيد في حال ذكر الحقيقة.

لكن موراي روى الحقيقة كاملة، وروى بأدق التفاصيل كيف ان أخاه لم يرفع اصبعاً لانقاذ ادريان وكيف ترك رجلاً غريباً ينقذها بالنيابة عنه، وانها لولا ذلك الرجل...

وهنا هتفت لورنا:

- أوه، يا لكليفورد المسكين! انه طبعاً لم يقدر ان يفعل شيئاً بسبب حالته الصحية. اخبره اني اتفهم وضعه تماماً وأسامحه من اعماق قلبي.

كان تصرّف امها المحزي يروعها فنظرت الى موراي مستنجدة الا انه كان يجلس على حافة المقعد ويسند رأسه على يديه، كما لو انه فقد الأمل في بث احساس بالمسؤولية في هذه المرأة الانانية التي ستصبح فرداً من أفراد عائلته من خلال زواج ابنتها القريب.

وتابعت لورنا تقول في استرخاء:

- لا شك ان كليفورد قد أبلغ البوليس وسوف ننام في أمان حين يقبضون على الرجل.

فاجابتها ادريان في هدوء:

- كلا يا أمي، انه لم يبلغ البوليس.

فشحب وجه لورنا وقالت:

- اوه؟ اذن علي ان أفعل ذلك بنفسي لاني سأظل فريسة للرعب حتى يقبضوا على ذلك الرجل... ذلك الرجل المجنون.

هرعت الى حيث الهاتف في الردهة ونهضت ادريان لتمنعها لكن موراي اشار بيده قائلاً:

- دعيها، فلا بدّ من اخبار البوليس.

أصغيا الى رواية لورنا المشوهة لحادثة الاعتداء على الطريق الريفية المظلمة ثم سمعاها تقول في استغراب:

- اوه، هل فعل ذلك؟ عظيم! قد يمكنكم الآن ان تجدوا هذا الرجل الرهيب وتعيدوا الينا الأمن والاطمئنان، نعم، غداً... سأخبرها...

www.elromancia.com

تصبح على خير.

دخلت الغرفة منفعلة وقالت:

ـ لقد تبلغوا الحادثة من الرجل الذي أنقذك، لكنهم سرّوا بمحادثتي لانهم ما كانوا يعرفون هوية الشخص المعتدى عليه... عزيزتي ادريان، سوف يأتون غداً لأخذ افادتك. ستكونين هنا، اليس كذلك يا حبيبتي؟ لن تقدري على العمل ما دامت ذراعك تؤلمك ولذا سأذهب غداً الى بيت كليفورد لأساعده في عمله.

كانت لورنا مبتهجة لذلك وما حاولت اخفاء فرحها.

تلوّت ادريان حرجاً من استمرار أمها في هذا التصرف المزري امام موراي، فقالت لها:

ـ علي ان أنجز بعض الطباعة يا أمي ويجب ان اذهب بنفسي.

فقال موراي محذراً:

ـ أدريان، لقد أوصيتك بالتزام الفراش يوماً او اثنين.

فاجابته وتصميمها يشجعها على مواجهة نظرته الفولاذية:

ـ سأنجز تلك الطباعة ولو قتلتني!

فضمّ شفتيه وقال بصوت كالفحيح:

ـ لعمري انك أعند شيطانة صغيرة عرفتها في حياتي...

فقالت في كبرياء:

ـ اشكرك على اهتمامك، لكن سواء كان هناك ألم او لم يكن فأنا مصممة على التنفيذ.

ـ يا الهي! اليس هناك شيء يجعلك تحيدين عن الطريق متى بدأت السير عليها؟ هل لديك مناعة ضد كل محاولات الاقناع مهما كانت منطقية ومتزنة وصحيحة الأساس؟

فتدخلت لورنا تقترح في ذكاء:

ـ لماذا لا تنجزين طباعتك يا عزيزتي، بينما أتلقى انا الاملاء من كليفورد؟ سوف استعمل الآلة الكاتبة المتنقلة وأضعها على حضني كما فعلت سابقاً.

فكفت ادريان عن المقاومة واجابت:

ـ لا بأس، اذا كنت مضطرة لذلك.

فانتبه موراي للتعب في صوتها وقال لها في هدوء:

ـ والآن، الى الفراش مع شراب ساخن يا أدريان.

فخرجت لورنا وهي تغمغم بانفعال:

ـ ساعد لك الحمام، أوه يا عزيزتي، كل ذلك الدم...

وافق كليفورد برضا على ان تعود لورنا مساعدة له. وهكذا، وفي اليوم التالي، استردت مكانها في غرفته فيما كانت ادريان تنجز طباعتها في الكوخ.

جلست لفترة تحدق عبر النافذة وفليك يربض عند قدميها. لم تنم جيداً ليلة امس، فقد ارغمت نفسها على البقاء مستيقظة، وساعدها ألم ذراعها على ذلك، كي لا تعيش تفاصيل الاعتداء من جديد من خلال احلامها. وفيما كانت تستلقي في الظلام، اخذت تفكر في الطريقة الأنسب لابلاغ كليفورد قرارها بفسخ الخطوبة، وهي لن تعود عن ذلك القرار!

لكنها فكرت ان اعادة الخاتم اليه ستعني ايضاً وجوب استقالتها من عملها الذي يعيلها وأمها.

اذن ليس امامها الا ان تظل تعمل لديه كخطيبة الى ان تجد حلاً للمشكلة...

سمع فليك خطوات تقترب، فجعر بصوت منخفض وقام الى الباب... هل جاء موراي؟ لا بد انه هو ولا احد سواه... خفق قلبها لكنها لاحظت ان فليك ما رحب بالقادم مبتهجاً، وسرعان ما رأت شخصاً غريباً يقف على الباب.

سألها بتهذيب ان كانت تسمح له بالدخول ودخل الكوخ بلا دعوة. ثم ظهرت السيدة ماسترز عند منتصف الدرب وبدت متضايقة لكنها استدارت وقفلت راجعة وكأنها قامت بالذي قدرت عليه.

ابرز القادم بطاقة وقال:

ـ انا اعمل في الصحيفة المحلية، اسمي باكر من جريدة مورننغ ريفيو. وحضرتك... الآنسة غارون، أدريان غارون؟

كان قد جلس على المقعد واخرج دفتره، فاجابته ادريان قائلة:

ـ نعم، انا هي، لكني آسفة جداً اذ لا ارغب في اعطاء افادة صحفية.

فلاحظ ارتباكها واشتمّ قصة وراءه، فقال:

www.elromancia.com

ـ لا ابغي منك افادة، وساكتفي ببعض التفاصيل يا آنسة غارون.

كان يحاول سحب المعلومات بدبلوماسية بارعة وأكد لها تصرفه بأنه لن يتركها الا بعد حصوله على مبتغاه. وتابع يقول:

ـ هذا الرجل الذي هاجمك كان يُرعب اهل القرية منذ فترة ضيلة، ولذا سيرحبون بأن يقرأوا بعض الاخبار عنه كي يتسلوا بها مع وجباتهم الصباحية.

ثم ضحك عالياً، وربما ليبعث فيها الاطمئنان، ولما رأى ذراعها المضمدة سألها:

ـ هل هو الذي فعل ذلك؟

وهكذا روت له الحادثة بكلمات مختصرة واردفت:

ـ ولحسن حظي، جاء رجل في سيارة وأنقذني منه.

فتوقف الصحفي عن تدوين ملاحظاته وسألها بعفوية مقصودة:

ـ لم تكوني وحدك في السيارة؟ كان معك رجل؟ شخص اسمه... دينينغ، كليفورد دينينغ؟

فأجابت وقد اوقعها في المصيدة:

ـ نعم، انه خطيبي...

وأقفلت فمها...

ـ ثم؟ قاوم المعتدي بالطبع؟

رطبت شفتيها وقالت:

ـ انه... لم تكن هناك حاجة، فكما اخبرتك، وصل الغريب آنذاك... قلب خطيبي... انه ليس كما يجب، وهكذا...

ـ فهمت.

ضاقت عيناه وراح يفكر فأدركت ادريان انه قد عثر على الحقيقة الصاعقة، وانه جعلها عن طريق الاحتيال، تخبره ان خطيبها لم يحرك ساكناً لانقاذها... بل انها زادت الطين بلّة بمحاولتها الدفاع عن تقصير كليفورد... وكادت تقرأ افكار الصحفي - «قلبه، يا للكذبة... اراهن ان الخوف هو الذي أرعب قلبه... يا لها من قصة مثيرة!».

نهض واقفاً ودس الدفتر في جيبه... شكرها ورفع بصره للحظة الى رفوف الكتب فوق رأسها وقال:

ـ آه، انها قصص لديمون، كتابة جيدة، وانا من المعجبين به.

لكن بصره المدرب على التقاط التفاصيل انتقل بسرعة الى الآلة الكاتبة، وما ان قرأ بضع كلمات حتى اشتم حقيقة اهم واضخم، فاخرج دفتره مجدداً وقال وهو يراجع ملاحظاته:

ـ هل تقصدين القول ان كليفورد دينينغ هو ديمون دين؟

فقالت تتوسل اليه:

ـ ارجوك... انه يحرص على كتمان هذا السر، لا يجب ان تنشره، عدني بأنك لن تفعل...

فلوّح بالدفتر امامها وقال:

ـ انها الصحافة يا آنسة غارون، حرية الصحافة... والحقيقة لا بد ان تظهر يوماً كما تعلمين، وسواء ذكرتها انا في قصتي ام اغفلتها فسوف تظهر بطريقة اخرى.

رفع يده محيياً اياها وعيناه تتوهجان... كانت في جيبه قصة مثيرة ستنشر حتماً على صفحة كاملة بالاضافة الى اسمه في اعلاها، وقد تساعده ايضاً على نيل ترقية... تركها وراح يعدو بين الاشجار وخرج من الباب الجانبي لشدة لهفته لتقديم القصة الى الجريدة.

تابعت الطباعة بحركات آلية، فيجب ان تنهيها أولاً ثم تنصرف الى التفكير... هل تطلع كليفورد على زيارة الصحفي كيلا يتفاجأ بالخبر صباحاً لدى اطلاعه على الجريدة، او تنتظر ما سيحدث على أمل ان يكون الشاب قد اشفق عليها وكتم سرّ الاسم المستعار؟ ومع انها فضلت الخيار الثاني الا انها احسّت في اعماقها بأنها يجب ان تخبره، فضلاً عن ان السيدة ماسترز عرفت بقدوم الرجل لأنها هي التي ادخلته الى البيت.

اكملت الطباعة، ووجدت السيدة ماسترز في المطبخ فشرحت لها القصة بقولها:

ـ حاولت جهدي ان اصرفه يا عزيزتي لكنه أصرّ على الدخول. اخبرته ان السيد دينينغ مشغول ولا يستطيع مقابلته، فسألني اذا كانت لديه سكرتيرة، فقلت له نعم لكنها منهمكة في الطباعة عند آخر البستان، فما كان منه الا ان قصد الكوخ قبل ان استطيع ايقافه.

ـ لكنه يعرف اسمي يا سيدة ماسترز.

ـ اخذه من البوليس يا عزيزتي. لقد أخبرني انهم في الجريدة يخابرون المحفر كل يوم بحثاً عما يستجد من امور، وكذلك يتصلون بالمستشفى ومركز الاطفائية. هؤلاء الصحفيون يدسّون انوفهم في كل شيء!

اخبرت كليفورد فاهتز غضباً ووضع الحق على انقلات لسانها وكأنها اضنعت الصحفي على السر طوعاً، ورفض ان يصدق بأن الشاب اكتشف الحقيقة بنفسه عن طريق الاحتيال والذكاء.

عادت ادريان الى البيت وهي ممتنة لخلاصها من اتهاماته النكدة، وسعيدة لوجود امها هناك كي تهدىء ثائرته.

احدثت القصة انفجاراً اذهل اهل القرية، واطل عليهم العنوان التالي يزعق، «المؤلف الشهير يتفرج فيما خطيبته تتعرض لاعتداء. ثم المضمون، ديفيد دين، مؤلف الروايات البوليسية الجريئة ومبتدع الابطال البواسل، جلس يراقب من بعيد تعرّض سكرتيرته- خطيبته لاعتداء، وترك رجلا غريبا يقاوم المهاجم ويرغمه على الفرار... أمر يدعو الى السخرية، قد تقولون. الا انه الحقيقة... ان كليفورد ديفيد الذي يعيش في عظمة منعزلة وبيت فاخر الرياض، يخفي اسمه الأدبي المستعار والشهير لأنه يخاف الدعاية الاعلامية. «هذا سرّ، قالت سكرتيرته، «واعطني وعداً بان لا تنشره»، لكني ما اعطيتها وعوداً من هذا النوع...

وهكذا مضى الصحفي يرعد ويبرق حتى نهاية القصة.

رن الهاتف فتساءلت، هل تراه كليفورد؟ وركضت ادريان تجيب فاذا به موراي يسألها بصوته المتعب:

ـ هل هدفت يا ترى الى ان يصاب خطيبك بالنوبة القلبية التي كان مقتنعاً بانه سيصاب بها يوماً؟ هل كان عليك ان تروي القصة المألوفة بكاملها وتفضحي السر بهذه الحماسة؟ هل تعرفين انك حطمت صورته الادبية نهائياً وانه سيتنكد بسبب ذلك طوال حياتكما الزوجية؟ استمعي الى هذا العنوان، «كاتب بوليسي شهير يستريح ويدع مجرماً يعتدي على الفتاة التي يحبها».

ـ موراي، يجب ان تصدقني! انا ما اخبرت الرجل ذلك... انه صحفي ومدرب على انتزاع الاسرار بالحيلة. انك تعلم هذا جيداً.

ـ حسن، لكن حتى لو صدقتك فالآخرون لن يصدقوك. لقد

اضطررت لتحمّل تقريعات اخي العزيز منذ ان فتح الجريدة الملعونة في الصباح.

فقالت بعصبية:

ـ يجب ان اذهب اليه فوراً لاشرح ما حدث. يؤسفني انك اضطررت لتحمّل كل ذلك...

ـ من المفروض ان تأسفي!

ولما شرعت تعترض اسكتها قائلاً:

ـ حسن، لم تقصدي ان تفعلي ذلك، انما اعلمي ان كليفورد لن يصدقك، واحمد الله على انني وغريتل سنغادر هذا البيت المجنون قريباً.

وخبط السماعة ثائراً...

رفض كليفورد ان يراها فصعقت ادريان لأنها لم تتوقع رفضه. حاولت السيدة ماسترز ان تقنعه بطرقها الخاصة ولكن بلا نتيجة. انه يرفض رؤية الانسة غارون بأي حال من الاحوال! وقالت لها المرأة تواسيها:

ـ آسفة جداً يا عزيزتي لأني المذنبة الحقيقية، اذ ما كان يجب ان اسمح لذلك الصحفي بالدخول.

فطمأنتها ادريان بقولها:

ـ لا انا ولا انت استطعنا التغلب عليه لانه تسلم زمام الأمور.

وصل موراي ورآها تقف كالبائسة امام غرفة كليفورد وانسحبت مدبرة المنزل في هدوء. «ولما اخبرته ادريان القصة، ضحك عالياً وقال:

ـ اذن هو حرم عليك الدخول، تصوري هذا العنوان في الجريدة، «المؤلف الشهير يجرد ويرفض رؤية حبيبته»! ماذا سيفعل بعد زواجكما اذا اثرت استياءه؟ هل سيحرم عليك دخول البيت، هناك لعمري حياة سعيدة في انتظارك!

ثم دلف الى غرفته وصفق الباب وراءه.

وراحت تفكر واجمة، «اخوان اثنان، وكلاهما يسعى الى طردي من حياته». تهدلت بيأس على الدرج ولم تجد امامها الا ان تعود الى بيتها وتخبر امها. فلربما استطاعت لورنا- بطريقتها الاقناعية المثيرة للحنون- ان تنجح في تأمين مقابلة لها مع «المؤلف الشهير».

ابتهجت لورنا بأداء هذه الوساطة وقالت:

- سأتملقه حتى يوافق على رؤيتك يا حبيبتي. سوف أخبره انك محطمة القلب، هل اقول له هذا؟

وهرولت خارجة قبل ان تأخذ الجواب، فقالت ادريان في نفسها، «هذه بداية النهاية». لم تعد هناك مشكلة حول فسخ الخطوبة اذ لا يسعها ان تتابع العمل مع رجل يتصرف بهذه الطفولية... وبشكل او آخر عليها ان تجد عملاً جديداً ولو اضطرت لشراء دراجة تقلها الى البلدة يومياً.

لكن كيف ستعيد اليه الخاتم دون ان تراه شخصياً؟ الحل الوحيد هو ان تفتح باب غرفته بلا استئذان... بدا النهار بلا نهاية، ولم يقطع رتابته سوى مجيء امها ظهراً حيث تناولت وجبة سريعة وركضت عائدة الى عملها، انما لم تنس ان تخبر ابنتها نتيجة الوساطة:

- ما يزال يرفض رؤيتك يا عزيزتي. انه غاضب منك جداً ويقول انك تحتاجين الى من يعلّمك درساً.

ولولا تعاستها الشديدة لضحكت ادريان كما يفعل موراي... يا للعجب! هي وحدها التي تضررت، هي التي كانت الضحية في اعتداء وحشي، ومع ذلك يتصرف كليفورد وكأنها هي المذنبة...

في الصباح التالي هرعت الى بيت كليفورد قبل أمها، وهناك تركت الكلب مع السيدة ماسترز ثم صعدت الدرج ركضاً الى غرفة كليفورد. وقبل ان تخونها شجاعتها ادارت مقبض الباب ودخلت حين وجدت الباب مقفلا.

ونادى كليفورد بنبرة نزقة:

- من هناك؟

صمتت لأنه اذا عرف بانها هي فلن يسمح لها بالدخول. نظرت الى باب غرفة موراي الموصد وتساءلت... هل سيساعدها اذا اخبرته سبب مجيئها لرؤية كليفورد وطلبت منه المساعدة؟ سارت بهدوء على السجادة الناعمة وتقرت بابه... لا جواب... حاولت مرة اخرى وايضاً لا جواب...

نادته بصوت منخفض فسمعتها السيدة ماسترز ووقفت عند كعب الدرج تقول:

- الدكتور دينينغ ليس هنا يا آنسة غارون. لقد رحل الليلة الماضية.

فذهلت ادريان... رحل من دون ان يودعها؟

- و... أين غريتل؟

- السيدة ستيل. ذهبت معه يا عزيزتي. لم يبق الا السيد كليفورد.

اذن رحل ولن تراه مرة اخرى. وكيف لها ذلك متى تركت كليفورد كخطيبة وكسكرتيرة؟

دخلت المطبخ لتأخذ قلبك، وقالت تسأل مديرة المنزل:

- سيدة ماسترز، هل ترك الدكتور دينينغ عنوانه.

- نعم، سأعطيك عنوانه.

جففت المرأة يديها وسحبت ورقة من خلف علب السكر والطحين واضافت تقول:

- وهنا ايضاً رقم هاتفه. لم لا تخابرينه؟ انه لن يتزعج يا عزيزتي ما دام الأمر مهماً الى هذا الحد.

وجدت ادريان قصاصة ورق في جيبها وقالت:

- سأكتبه عندي لتحتفظي بورقتك.

ما عليها الا ان ترفع السماعة وتدير القرص، فيكون معها بصوته يحدثها... ولكن اي عذر ستعطيه وعما ستحدثان؟ عن خطيبتها المفسوخة؟ هل سيشمت بها ويذكّرها بتحذيره؟ هل سيسر بذلك ام انه لن يهتم قيد شعرة!

تنهدت اذ ادركت انها لن تحمل نفسها ابداً على مخابرته، وهكذا لن تعرف ابداً رد فعله... لقد رحل دون ان يقول لها وداعاً.

www.elromancia.com

١٢- الجرح يلتئم

صارت ادريان تتردد على طبيبها الخاص لمعالجة ذراعها. كان كليفورد ما يزال يرفض رؤيتها فكفت هي عن المحاولة. اما لورنا فكانت سعيدة بعملها معه، فيما اضطلعت ادريان بكامل مسؤوليات البيت.

وفكرت في أسى، ربما هذا هو الحل... أمها تتحمل مسؤولية الاعالة بينما تبقى هي في البيت وضجرها يزداد يوماً بعد يوم، كما كان الحال مع أمها... ان تبديل الأدوار هذا يبعث على السخرية، فهي تقدر ان تتصور ما سيحل بها اذا استمرت في هذه الحياة الرهيبة القابلة للاهتراء، ودخلت مرحلة الشيخوخة البعيدة برفقة هذا الضجر الباعث على الجنون... نظرت الى خاتم كليفورد حول اصبعها فأحست وهجه يسخر منها... اقتلعته بسرعة ثم وجدت مغلفاً وضعت فيه الخاتم وصمغته وعنونته الى

كليفورد... ستدع أمها تحمله اليه، وباعادة الخاتم سوف تنتهي الخطوبة ولن تضطر لرؤية كليفورد ثانية.

ولما عادت لورنا الى البيت ظهراً، لم تزعج اطلاقاً من قرار ابنتها وقالت لها ببساطة:

- نعم، سأوصل له الخاتم. كنت أقول دائماً انه كبير جداً بالنسبة اليك. ان موراي سيناسبك اكثر.

فهزت ادريان رأسها واجابت:

- موراي سيتزوج غريتل يا أمي... كان يحبها منذ سنوات بعيدة.

فردّت لورنا:

- لكن هذا لا يعني انه يحبها الآن.

قطبت ادريان والألم يشتعل فيها لبرهة كعود كبريت، ثم خبا الضوء وغيّمت الحقيقة عينيها، وقالت:

- لكنه لم يكلمني قبل ذهابه ولا حتى قال وداعاً... لذا...

غاب صوتها فقالت لورنا لترضيها:

- اوه، سيعود... أشعر ذلك في عظامي.

وبتلك النبوءة الخرافية انما المشجعة، تركت لورنا البيت وهي تحمل المغلف.

بعد ساعات عادت لورنا وكانت تتألق فرحاً... رفعت يدها اليمنى، وحول بنصرها كان الخاتم الذي قدمه كليفورد الى ادريان، وهتفت لورنا:

- هنيئي يا حبيبتي فأنا سأتزوج... كليفورد!

فزعقت ادريان:

- هذا غير معقول يا أمي!

فبدت لورنا منجرحة الشعور وقالت:

- لكني سأتزوجه يا حبيبتي، فأنا لا أكبره الا بثلاث سنوات فقط.

فهتفت ابنتها:

- هل تقصدين ان كليفورد عرض عليك الزواج بالفعل؟

فجلست لورنا وقالت وهي تتأمل يدها باعجاب:

- لم يعرضه لكلمات مباشرة.

برودة أمها وصراحتها المتناهية ضيّقت انفاسها، فأحست كما لو انها

www.elromancia.com

مستاحة على وشك الغطس! انها لا تصدق ان كليفورد قد نقل عواطفه من الابنة الى امها بهذه السهولة والطواعية والانسجام!

ابتسمت لها لورنا بصراحة طفولية وقالت:

- انا اقترحت عليه فكرة الزواج... قلت له انا سنكون زوجين مثاليين واني سوف أوفر له العناية التي يحتاجها، واننا نتطابق تماما في أمزجتنا وطباعنا.

فكرت ادريان، وقد أذهلها دهاء أمها... هل انخدعت بسذاجتها طوال الوقت؟

وتابعت لورنا تقول وهي لا تكف عن النظر باعجاب الى الخاتم المتوهج:

- اقتنع في الاخير بأن زواجنا سيكون ترتيباً ممتازاً!

وقالت لورنا كما لو انها قرأت أفكارها:

- بعد زواجنا سأعيش معه بالطبع، فيما تعيشين يا حبيبتي هنا. انك لن تتضايقي من بقائك بمفردك، أليس كذلك؟ فليك سيكون معك على كل حال.

نظرت اليها أدريان في تمعّن... هل هناك وميض ماكر في عينيها ونوع من النصر المتهلل لانقلاب الوضع؟ اذا كانت الومضة هناك فانها لم تدم اكثر من جزء لحظة.

- كليفورد حمّلني رسالة اليك... يقول انه متأكد من انك ستتفهمين الوضع ويرغب في رؤيتك. اعتقد انه ينبغي الاعتذار لكونه سيصبح قريباً زوج امك.

بعد انتهائها من الغداء في اليوم التالي، وكانت قد تغلبت على صدمة خطوبة أمها، اخذت فليك في نزهة... شعرت بحاجتها الى هدوء الحقول الخضراء وحريتها، والى فسحة تتيح لها التنفس والتفكير الصافي في نهج الأحداث الجديد، ولتقرر الاتجاه الأفضل لمستقبلها.

لقد صممت أدريان على ان تخابر موراي فور وصولها الى البيت... وستقول له: «لقد فسخت خطوبتي الى كليفورد وأمي سوف تتزوجه بدلا مني، وقد حسبت انك تحب ان تعلم» ثم ستقفل الخط...

طرحت معطفها على احد المقاعد، وقبل ان تفقد تصميمها أدارت

قرص الهاتف، وانتظرت بقلب خافق رد الطرف الآخر... تواصل الرنين بلا توقف حتى انتبهت الى ان الوقت كان عصراً، وان موراي لن يكون في شقته بل في مكان عمله. ومع ذلك تجاهلت صوت العقل الذي أهاب بها ان تقفل الخط فانتظرت صابرة حدوث معجزة، وفي الوقت نفسه عنفت نفسها على غبائها.

لكن المعجزة حدثت وردّ شخص في الطرف الآخر... وقال صوت انثوي:

- هنا منزل البروفسور دينينغ. هل يمكنني ان أساعدك؟

كان صوت غريتل، وكانت تتنفس بصعوبة كما لو انها كانت تركض. ما توقعت ادريان ان تجدها هنا ولذا اجابت متلعثمة:

- لا، شكراً، الموضوع ليس... مهماً.

لكن غريتل الحّت بقولها:

- من يتكلم؟ البروفسور خارج المنزل. أنا الدكتورة ستيل. هل تودين ان تبلغيه رسالة؟

لم تجد ادريان مناصاً من اعطاء اسمها، فهي ان تكتمته وأقفلت الخط فلن يهدأ موراي - كطبيب - حتى يكتشف هوية المتكلم، فقد تكون حالة طارئة... فقالت:

- ادريان غارون تتكلم. انما الأمر ليس مهماً يا دكتورة ستيل وشكراً على أي حال.

أقفلت الخط وهي تحس بالخيبة تثقل مفاصلها كما لو انها محزومة بالحصى. جرّت جسمها الى مقعد وانطرحت عليه واضعة رأسها بين يديها... اذن غريتل في شقته... كان يجب ان تتوقع هذا فهي ستتزوجه، أليس كذلك؟

وأعلنت لورنا انها سوف تعود الى كليفورد فور تناولها الشاي، وأردفت تحثها:

- تعالي معي يا حبيبتي، فهو يريد رؤيتك ويتوق الى ان يسمعك تقولين انك قد سامحته وانك سعيدة بخطوبتنا.

لم تهمها رؤية كليفورد لا حاضراً ولا مستقبلاً، فأجابت:

- لا، شكراً يا امي. اخبريه اني أتفهم الوضع واني سعيدة من أجلكما.

www.elromancia.com

راحت تحدق في الغروب وتتساءل عن شيء تفعله لتقتل الوقت. ثم رنّ الهاتف ممزقاً الصمت ومتلاعباً بأعصابها، اذ ساورتها فكرة مجنونة بأنه قد يكون موراي يجيبها على مخابرتها.

ثم اقنعت نفسها بأن المخابرة من أمها لتحثها مجدداً على مصالحة كليفورد، ولذا رفعت السماعة وذكرت اسمها.

وجاءها صوت موراي البارد يقول بلا مقدمات:

- فهمت من غريتل انك خابرتني بعد الظهر.

كان المتكلم شخصاً غريباً وليس موراي، فلا يعقل ان يكلمها هكذا... أربكتها نبراته الجليدية فقالت بعصبية:

- أخبرت الدكتورة ستيل ان الأمر ليس مهماً ولذا ما كان هناك داعٍ لان تزعج نفسك.

فأجابها بعصبية مماثلة:

- لقد ازعجت نفسي وانتهى الأمر، والآن، وبما اني كنت كريم النفس الى هذا الحد، فيمكنك على الأقل ان تذكري لي سبب مخابرتك السابقة.

فتساقطت دموعها غصباً عنها وقالت بصوت مخنوق:

- أردت فقط ان أقول اني ما عدت مخطوبة الى كليفورد وان أمي ستتزوجه بدلاً مني.. حسبت انك تود معرفة ذلك.

أقفلت الخط وأطلقت العنان لدموعها... لقد تاقت الى سماع صوته، أما الآن وقد سمعت كلماته الباردة، فقد ندمت بمرارة على اندفاعها الى الاتصال به.

رن الهاتف مرة أخرى، فغطّت أذنيها وصعدت الدرج ركضاً ثم انطرحت على السرير. لن تجيب ولو استمر يطلبها حتى منتصف الليل. لكن الرنين تواصل وتواصل وأوشك ان يفقدها عقلها... سوف تنزل وترفع السماعة وتصغي ومتى سمعت اسم المتكلم وتأكدت انه موراي فلي تقول شيئاً ثم تترك الخط مفتوحاً.

رفعت السماعة الى أذنها وأصغت...

- ادريان، ادريان هلاّ أجبتني؟ ادريان، هل انت هناك؟ اذا رفضت ان تردّي او اذا اقفلت الخط، فقسماً بالله سوف أخابر البوليس وأطلب منهم الذهاب الى بيتك ليروا ماذا جرى لك... والآن، هل تسمعين؟

فهمست:

- نعم.

- عظيم، أريدك الآن ان تجيبي عن الأسئلة الثلاثة التالية: أولا، هل صحيح انك فسخت خطوبتك الى أخي؟

فردّت بصوت هامس انه صحيح.

- ثانياً، هل صحيح ما سمعته منك بأن امك سوف تتزوجه؟

فهمست ثانية بالايجاب.

- جاء دور السؤال الأخير، وبعد ان تعطيني الجواب يمكنك ان تقفلي الخط اذا شئت... هل تتزوجينني يا ادريان؟

فتحت فمها لتتكلم لكن النطق خانها.

- ادريان!

كان بدأ يفقد صبره وعليها ان تقول شيئاً، أي شيء:

- لكن... لكن لماذا؟

فقال صارخاً تقريباً:

- لماذا؟ لماذا يطلب أي رجل من مرأة ان تتزوجه؟ لانه يحبها، لانه يريدها اكثر من أي امرأة اخرى في العالم. والآن، هل لك ان تجيبي على السؤال؟

- ولكن يا موراي...

بدت بلهاء حتى في نظر نفسها، ومع ذلك لم يسعها الا ان تتكلم في غباء... وجاءها صوته عميقاً أجش:

- بحق الرحمة أجيبي... اسمعي... هل تحبينني؟

- بالطبع.

أجابت بوضوح وبلا أدنى تردد، فقال يقلّدها وقد كاد يفقد صبره:

- بالطبع! اذن لماذا ترفضين الاجابة على سؤالي؟

- بالطبع أنا راضية بالزواج منك يا موراي، فأنا ما رغبت ابداً في الزواج من رجل سواك.

فقال لاهثاً كرجل في نهاية سباق:

- حسن، لقد أعطيتني الجواب الذي أريد. اما الباقي فلا بد من تأجيله في الوقت الحاضر.

www.elromancia.com

توقف قليلا فبدأت تخاف من الصمت ومن المسافة التي كانت تفصل بينهما، كما لو انهما في جهتين مضادتين من العالم... تمنت لو تكون قربه، تنظر الى وجهه وتحاول ان تحزر أفكاره... وهتفت:

- موراي!

فأجاب فوراً وكأنه أحس خوفها:

- لا عليك يا حبيبتي أنا ما أزال هنا... كنت أفكر في بعض الحلول... هل لك ان تأتي الي؟ لو كان لدي وقت لذهبت وجئت بك بالسيارة انما لسوء الحظ سأكون غداً مشغولا لغاية الظهر، ولكني سأرتب أموري بحيث اكون حراً بعد الظهر.

- غداً يا موراي؟ لكن كيف يمكنني...

- اجل، غداً يا ادريان، هل تسمعين؟ اخرجي من حيرتك السجينة معهم يا حبيبتي ودعيهم يتكفلان بنفسيهما ويجدان طريقهما معاً. لقد سببت عليهم الأمور لمدة طويلة، وعلى أي حال، علينا الآن ان نهتم في الدرجة الأولى ببعضنا البعض... لن أدعك تعيشي هناك كخادمة مجانية للحظة اخرى.

ثم أعلمها بموعد القطار وأردف:

- استقلي التاكسي الى البلدة، سأدفع كل التكاليف. ثم خذي القطار. الرحلة تستغرق ثلاث ساعات تقريباً، وسألاقيك هنا في المحطة.

ادريان... أوه، يا الهي! من الظلم ان أتكلم بواسطة الهاتف الى الفتاة التي خطبتها لتوّي! أدريان عذبني بأن تأتي غداً.

فهمست:

- أعدك بذلك... موراي، ماذا أصنع بفليك؟

- فليك؟ هاتيه معك بالطبع. انه جزء من العائلة. لا تنسي انه عرّفنا الى بعضنا!

جلست ادريان في القطار المسافر بها الى موراي.. كانت مغمضة العينين تميل مع تحرّك القاطرة اللطيف وفليك ينام عند قدميها. وبالرغم من وجود بعض الركاب معها الا انها بالكاد أحست بهم. فمنذ سأها موراي ان تتزوجه، ما عادت تعيش في عالم الآخرين.

لقد تغلبت بسهولة على اعتراضات امها العاصفة والدامعة، لدى

عودتها من بيت كليفورد في الليلة السابقة، وقد انتحبت قائلة:

- لا يمكنك ان تتركيني هكذا... ماذا سأفعل بدونك؟

فقالت ادريان في نفسها، الاسطوانة المألوفة ذاتها... لكنها ما شعرت بذرة ندم، فلن يمضي وقت طويل تنتقل لورنا من بيتها لتتحكم في بيت كليفورد وفي حياته. ورحيلها هي قد يجعلهما يبكران في الزواج، وفي ذلك فائدة لكليهما.

وهكذا أجابتها بحزم:

- بل سأذهب يا أمي.

فاضطرت لورنا ان تتقبل الأمر، وحين روضت نفسها اخيراً على الفكرة، بدلت نغمتها وبدأت تتحمس لزواج ادريان، وقد قالت لها متباهية:

- بالطبع ان موراي موهوب مثل كليفورد ولكن...

فرفعت ابنتها في هدوء:

- أمي، حان الوقت لأن تعرفي ان موراي دكتور.

- كلا يا عزيزتي، انه ليس دكتوراً حقيقياً، بل دكتور في الفلسفة كما أخبرتني.

- هو دكتور في الطب، وهكذا ترين انه طبيب «حقيقي» على حد تعبيرك.

صعقت لورنا، فضغطت على رقبتها وقالت بصوت أجش:

- اذن سوف تتزوجين طبيباً؟

ثم طوقت عنق ادريان بذراعيها وهتفت:

- يا للحظ والروعة! بالطبع يجب ان تذهبي اليه غداً! كم هو مفيد ومفرح وجود طبيب في العائلة!

ولما ودعتها امام التاكسي قالت لها:

- اعلميني مسبقاً بموعد الزفاف كي ابتاع فستاناً يليق بالمناسبة.

فوعدتها بأن تفعل.

بدت لها الرحلة بلا نهاية فلم تلحظ تبدّل المناظر الريفية ولا انتبهت للتلال البعيدة او المصانع المزدهرة لدى مرورهم في المدن الكبيرة، ولا رأت عمران المناطق السكنية على كل قطعة أرض متوفرة للبناء.

www.elromancia.com

خفت سرعة القطار بالتدريج الى ان دخل المحطة الكبيرة ذات القناطر العالية حيث تتردد الأصوات والحركة في أصداء متواصلة.

هدأت ادريان من انفعال فليك الذي بدأ يحوم قلقاً حين أحس بتغيير الجو من خلال ايقاع العجلات المتباطىء وتوقف القرص اخيراً. لقد انتهت الرحلة، وفتح احد الركاب باب القاطرة فبقيت فيها لوحدها مع الكلب... وحين رفعت ذراعيها لتنزل حقائبها عن الرف أخذ فليك يعوي وكأنه يقول: «اسرعي فلقد ذهب الجميع عدانا».

- أدريان؟

كان موراي واقفاً عند الباب وفليك يقفز مجنوناً... داعبه موراي قليلا ثم قال له:

- لقد تبعت عواءك يا صديقي فشكراً على ارشادك.

فاستدارت ادريان والتقت عيونهما... ولم يحدث شيء... احست برودة في داخلها وحيرة غريبة لم تحسها قبلا... ماذا فعلت؟ لقد هربت من البيت، أجل هربت، لتلاقي رجلا، رجلا غريباً مألوفاً، لكنه غريب تماماً.

عبس موراي ثم حمل حقيبتيها، كل واحدة في يد، وقادها خارج القاطرة وهو يسألها في جمود:

- أيمكنك الانتباه الى فليك؟

- نعم، شكراً.

سارا جنباً الى جنب على رصيف المحطة، ثم قال محاولا فتح الحديث:

- آسف لأن المسافة بعيدة، ولكنك نزلت في آخر الرصيف.

- هل أتيت بسيارتك؟

- نعم، لكني أوقفتها على طريق جانبي.

لمس ترددها بالرغم من كلماتها، وقرر على ما يبدو الا يلح عليها. وقال:

- حسن، سنذهب مباشرة الى بيتنا.

- بيتنا؟

انه بيته وليس بيتها... وضع حقيبتيها في صندوق السيارة وقادها خارج البلدة. فاغمضت ادريان عينيها وعادت تعيش اللقاء في احلامها-

طيرانها على الرصيف والى ذراعيه، عناقهما الدافىء، عواء الكلب، الضحك في عيون المارة وهما يحدقان الى بعضهما ولا يستطيعان فكاكا...

ولكنه عرض عليها الزواج ليلة أمس على الهاتف... انها لم تسمع ذلك في الحلم؟ لماذا فعل ذلك؟ من باب الشفقة؟

استرقت النظر الى جانب وجهه فرأته يقطب ثانية... وقال لها:

- هل ندمت على شيء؟

فنظرت اليه في حدة وردّت:

- كلا.

- اذن ما بك؟ أما زلت تحنّين الى أخي؟

فأحست دموعها تتجمع وقالت:

- أوه، دعنا نكمل الطريق الى شقتك.

كانت شقته فسيحة ومؤثثة بذوق. كانت تشمل غرفة استقبال واسعة مريحة وغرفتي نوم ومطبخاً كالذي تحلم به كل ربة بيت...

- تعالي واجلسي يا ادريان، سأتيك بكوب شراب.

- لا أريد شراباً، شكراً.

فأجاب في هدوء:

- بل ستشربين شيئاً يا ادريان ولو اضطررت لسكبه في حلقك.

كان في صوته تحذير ما قدرت ان تتجاهله، وقالت حين تناولت الكوب منه:

- لكني جائعة.

- لدي بعض البسكويت.

افرغ رزمة منه على صحن وأخذت قطعة.

ارتمى موراي على المقعد المقابل وقال:

- هل أتعبتك الرحلة؟

- ليس كثيراً.

وسألت بشفتين متقلصتين:

- أين غريتل؟

- في عملها.

- لكنها كانت هنا عندما خابرت وكنت أنت خارج البيت.

www.elromancia.com

فتأملها مفكراً وغمغم قائلا:

- اذن هذا ما يعذبك... صدقي او لا تصدقي، ان غريتل جاءت وقتها لتأتيني بأوراق مهمة كنت قد نسيتها في البيت. كانت تصعد الدرج حين سمعت رنين الهاتف فعادت تركض اليه قبل ان يقفل المتكلم، أنت، الخط.

فتذكرت ادريان كيف سمعت هاث غريتل وكأنها كانت تركض... نهض موراي من مقعده وسار اليها... أخذ يدها فخفق قلبها بين ضلوعها... لكنه كان ينظر الى الجرح الذي قطبه... وقال باسماً:

- أمرت فقط ان أتأمل تطريزي.. لقد التأم الجرح تماماً.

انزل ذراعها لكنه ظل محتفظاً بيدها... فرطت شفتيها وهمست:

- موراي، لماذا عرضت عليّ الزواج؟ ألانك أشفقت عليّ؟

ندمت على سؤالها حالما نطقته، فقد قذف يدها بعيداً وسقط قلبها معها... وسألها بدوره:

- ولماذا وافقت أنت على الزواج مني؟ ألاني افضل من لا شيء؟

- موراي، كيف تقول ذلك وأنا...

فرفع يده فاتحاً كفه وكأنه يدعو كفها لملاقاتها... هل تراه يسهل الأمور عليها؟ حدقت في يده ولم تلمسها، وبدلا من ذلك، فعلت ما أوحته لها غريزتها وما فعلته مرتين من قبل، ليلة العاصفة وليلة ضمّد لها جرحها... مررت ذراعيها تحت سترته وتعلقت به وهي تلصق وجهها بكتفه وتخفي دموعها التي تهدد باغراق عينيها... شعرت بقوته وصلابته، ووقف هو جامداً للحظة، كما فعل قبلا... ثم مدّ يديه واعتقل يديها المشبوكتين خلف ظهره ورفع رأسها والصق جبينه بخدها وراح يهمس اسمها كما لو ان كل الكلمات والأسماء الأخرى قد أمحت من الوجود.

بعد ذلك أبعدها قليلا وحدق في عينيها البراقتين. ثم هزها بلطف وقال:

- وتركتني اتساءل ايتها الجنية الصغيرة! ما الذي جعلك تتصرفين كغريبة؟

- وأنت تصرفت كذلك. كنت بارداً الى حد جعلني اتساءل عما اذا كان حديثك الهاتفي مجرد حلم!

فأخرج من جيبه ورقة مطوية وقال:

- أنظري الى هذه وقولي بعد ذلك انك ترينها في الحلم! انها ترخيص بالزواج! سنشتري الخاتم بعد الظهر وغداً نتزوج.

فذهلت وقالت:

- لكن أمي تودّ حضور الزفاف، واذا تزوجنا غداً فلن تجد وقتاً...

اجلسها على الأريكة وأحاطها بذراعه كما لو انه لا يطيق بعادها لحظة... قال وعلى وجهه ابتسامة عريضة:

- دعينا نتمرن على شجاراتنا الزوجية، وفليك سيكون الحكم.

فابتسمت له وعيناها تتألقان... تنهدت ثم همست وهي تضمه اليها:

- لا يا دكتور. سأفعل كل ما تقوله يا دكتور.

فرفع محياها وغمغم في أذنها:

- استعدادك هذا هو اثارة خطرة يا حلوتي في ضوء الظروف الراهنة، لكني سأتسلح بكامل ارادتي وأكبح جماح عواطفي لاربع وعشرين ساعة اخرى.

فنظرت في عينيه وقالت:

- موراي؟ انك ما اخبرتني مرة انك تحبني، لقد جعلتني أصرح لك بحبي لكن...

فأسكتها بهمسة حميمة ولما عادا ثانية الى الأرض، قال:

- أتريدين ان تعرفي متى وكيف بدأت أحبك؟

- نعم، أرجوك.

- حسن، منذ ذلك اليوم في مقهى المنتزه... كنت، كما تعلمين، اشرب الشاي في سلام وأفكر في عملي، عندما رأيت شابة جذابة ذات قوام متناسق تدخل المقهى مع كلبها وتجلس الى طاولة في أقصى المقهى. استحوذت هذه الشابة على اعجابي، ورحت ابحث عن طريقة تمكنني من التحدث اليها، وعندها، قام كلبها الشاطر بمهمة التعريف!

وسألته:

- حين اخبرتك اسمي، هل عرفت من أكون؟

- بالطبع عرفت، وأدركت إذ ذاك اني وصلت متأخراً لأنك مخطوبة الى اخي... فكليفورد كتب يعلمني بخطوبتكما، فقررت ان أقضي معه يوماً

www.elromancia.com

او يومين من اجازتي لافحص خطيبته الجديدة. فأنا ما استطعت ان أفهم كيف يمكن لفتاة عاقلة حتى ان تحلم بالزواج من أخي! كنت مقتنعاً بأنها تسعى الى ماله. انه ميسور الحال. وهكذا قررت ان ألقي عليها نظرة سريعة ثم أكمل اجازتي في الخارج تاركاً اياها لمصيرها الذي تستحقه.

- لكنك لم تسافر.

- كلا، لأني حين رأيت الفتاة المذكورة، لم أقدر ان أقف مكتوف اليدين. يا أعز الناس الي، لقد كنت بريئة وصريحة وصادقة الى حد جعلني أقرر حمايتك من مغبة غبائك، وبأي ثمن. وأعترف بأن تصرفاتي لم تخل من الأنانية، اذ اني وقعت في حبك بدوري.

فتلوت بين ذراعيه وقالت:

- اذن لهذا السبب كنت تقضي الساعات في محاولة اقناعي بفسخ خطوبتي؟

فشدّ ذراعيه حولها وقال:

- كفي عن التلوي يا حلوتي، انك تشتتين ذهني!

ثم أجاب سؤالها:

- لم أفعل ذلك بدافع الحب فقط. فلكوني طبيباً، ولأني اعرف طبيعة اخي وخصائصه ظاهراً وباطناً فقد استطعت التكهن بأن عواقب زواجك منه ستكون- في عرف الطب- كارثة! وبغض النظر عن رغبتي الخاصة في ان تكوني لي أنا، كان من واجبي كطبيب ان احذرك. ولكن التحدث معك في ذلك الموضوع كان كمحاولة اقناع النهر بأن يغيّر مجراه. وهكذا كدت ألقي سلاحي.

ثم وضع خده على شعرها وقال:

- أتذكرين لما تركتك لألتقي غريتل؟ كانت معنوياتي في اسفل درجاتها اذ كنت مقتنعاً بأني خسرت وان كليفورد هو المنتصر الأخير.

رفعت يدها ومررتها على شعره فقبض عليها والصقها بخده وقال:

- أتذكرين كيف تأخرت كثيراً عن موعد رجوعي؟

- نعم، وقد ظننت ليلتها اني لن أراك أبداً.

- ما كنت بعيدة عن الحقيقة اذ كدت لا أعود أبداً.

- ولماذا؟

- لأني لم احتمل ان أرى الفتاة التي أحب تضيع حياتها في سبيل رجل لا يحبها بل يحتاجها فقط لأسباب انانية محضة. عندها قررت الا اتخلى عنك من دون ان أناضل لاستردادك. وحتى لو لم استطع ان احملك على حبي، فيمكنني على الأقل القيام بمحاولة اخرى لأمنعك من تحطيم حياتك اذا تزوجته.

ثم تخلى عن جديته وقال:

- لكن حين اكتشفت كم أنت عنيدة، واني ما استطعت احداث شق واحد في درعك...

- لكنك فعلت ذلك في الأخير.

- متى؟ بعد حفلة اوغسطوس؟

- نعم، كانت تلك القشة الأخيرة ولكن عملية الاقناع كانت تدريجية. فبينما كنت تظن طوال الوقت بأنك ما حققت أي انتصار، كنت في الواقع تقنعني بالتدريج وتضعف مقاومتي. على أي حال، كان حبي لك يزداد في كل مرة، وهكذا كان لا بد من ان تنتصر في النهاية!

فقال في رقة:

- تلك الليلة، بعد ان قطبت جرحك، هل كنت تحاولين اخباري... بطريقتك الخاصة انك تحبينني؟

- نعم، لكنك رفضتني.

- لو تعلمين يا حبيبتي كم كنت قريباً وقتها من التخلي عن تصميمي ومن أخذك بين ذراعي... ان رؤيتي لك تبكين، وعجزي عن التخفيف عنك بعد كل الذي عانيته تلك الليلة، كان جحيماً صرفاً بالنسبة الي.

فسألته وفي صوتها بقايا عذاب:

- لكن لماذا، يا موراي، لم تصارحني بحبك؟

- لأني كنت مقتنعاً يا حبيبتي بأنك لن تصدقيني اذا صارحتك بحبي... كنت واثقاً من انك ستتهمينني مجدداً بأني أقول ذلك لأغيظ اخي ولأسرقك منه.

- لكني كنت مقتنعة بأنك تحب غريتل.

- احببتها منذ وقت طويل جداً الى حد النسيان تقريباً. لا أعتقد انها سوف تتزوج ثانية، وحتى اذا فعلت، فلن تتزوج شخصاً مثلي.

ـ ولكن في حفلة اوغسطوس...

فقاطعها باسماً:

ـ لقد تعاونت معي وقتها على لجم ديزيريه ونجحت غريتل تماماً. والآن، دعينا نبحث اموراً أهم من هذه. لقد حجزت لك غرفة لليلة واحدة في فندق قريب، وهذا المساء ننقل حقائبك اليه. اما الآن، فسنخرج لتناول الطعام ثم نبتاع الخاتم. وفي أقل من أربع وعشرين ساعة سوف يصبح بيتي بيتك وتصبحين زوجتي، حيث سأضطر الى انجاز عمل مهم جداً.

فهمست وهي تحدق اليه:

ـ حاضر يا دكتور. أوامرك نافذة يا دكتور.

فوجه كلامه الى الكلب الذي كان يراقبهما طوال الوقت بلا حراك:

ـ فليك، ها هي تعود الى العفرتة. اعتقد انها تحاول اثارتي بالرغم من تحذيري لها.

ثم أخذ وجهها بين يديه وسألها ناظراً في عينيها المشعتين:

ـ هل تستفزينني؟

ابتسمت فاكتفى بذلك الجواب، وقال وفي صوته نبرة خطر:

ـ حذار يا فتاتي، انك تلعبين بالنار... هل تعين ذلك؟

أومأت برأسها فقال:

ـ الآن ستحترق اصابعك يا حبيبتي.

وبلباقة متناهية نهض فليك متثائباً في كسل ثم زحف الى المطبخ وتكوّر قريباً في الزاوية.